ابحث عن وجهي

الصلاة كعلاقة شخصية

في

الكتاب المقدس

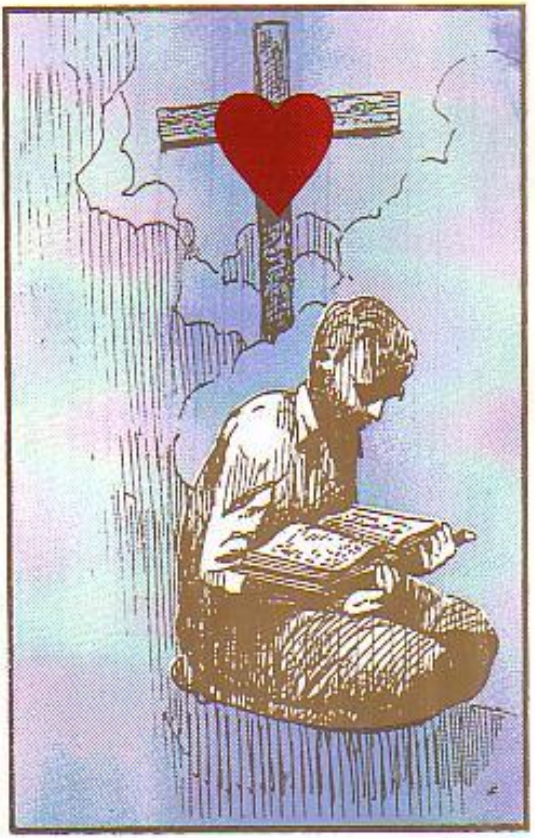

وليم بيرلي

SEEK MY FACE

Prayer as Personal Relationship in Scripture

By
William A.Barry,S.J.

نقله إلى العربية
الأب حبيب هرمز النوفلي

المصحح اللغوي: سليم عتيشا
لوحة الغلاف:الفنان د.وسام مرقس

بإذن الرؤساء

كنيسة مار كوركيس الكلدانية
بغداد–2001
نشر في الموقع الألكتروني للكنيسة الكلدانية في بريطانيا
Chaldean Catholic Mission
www.chaldean.org.uk

الفهرست

كلمة المترجم	4
مقدمة المؤلف	6
الفصل الاول: ازدواجيتنا نحو الله	9
الفصل الثاني: شعورنا بالقبول: الخبرة الاساسية	17
الفصل الثالث: انماء الشفافية	26
الفصل الرابع: سماع الله	33
الفصل الخامس: الكشف عن حاجاتنا	41
الفصل السادس: فيض قلب الشخص	53
الفصل السابع: مشاعر الغضب والثأر	59
الفصل الثامن: في كشف الخطيئة	66
الفصل التاسع: غفران الخطيئة	73
الفصل العاشر: اظهار الامتنان	81
الفصل الحادي عشر: انشاء مزمورنا الخاص بالامتنان	88
الفصل الثاني عشر: معرفة يسوع	94
الفصل الثالث عشر: ماذا يحب يسوع	102
الفصل الرابع عشر: ما هي قيمة يسوع	112
الفصل الخامس عشر: الخاتمة	122

مقدمة المترجم

كان جوهر الصلاة والعمل في السنوات التحضيرية الثلاث التي سبقت اطلالة الالف الثالث هو السعي والبحث عن ملامح وجه الله. وهكذا عشنا لحظات مملوءة بالافكار والاعمال بغية اكتشاف بعض هذه الملامح المقدسة. فمن قال انها تكمن في الكتاب المقدس، وقال آخر ان طقوسنا الدينية وكتابات آباء الكنيسة تحمل بعضها، وأكد ثالث انها تتضح في وجوه أخوتنا المعاقين، والمتألمين، والشيوخ، والاطفال وفي وجه كل أخ وضعه الله في طريق حياتنا. وقال رابع انها في الطبيعة الجميلة.

اعتقد ان كل الذي قلناه هو قطع من الفسيفساء الجميلة، بعضها صغير الحجم، وبعضها الآخر كبير، ولكنها جميعا وبتداخلها، تكشف عن وجهه القدوس. ولكي نمتلك الادوات الكافية للسير في بحثنا، علينا بالكتاب المقدس. ففي التأمل بشخصياته الفائدة الكبرى، والارشاد الروحي الرائع نتجنب احتمالات الانحراف عن طريق السير الصحيح.وان وجه الله في الانسان لهو صورة ناقصة، لذا نحن بحاجة الى كتاب الحياة الذي يجمع الله مع الانسان معاً في الطريق.

لقد اجتهد مؤلف الكتاب، وهو روحاني يسوعي لأجل تعبيد جزء من الطريق الذي علينا السير فيه، انّه طريق واضح وناصع يعتمد على روحانية القديس اغناطيوس دي ليولا.

وقد ترجمت هذا الكتاب ضمن سلسلة من الكتب الروحية التي أسعى الى نقلها الى العربية، لإحساسي العميق بحاجتنا الى مرشدين روحيين في وقت شحَّ فيه هؤلاء فيما بيننا، راجياً ان يكون محط انظار المسؤولين عن الرياضات الروحية المختلفة.

اقدم جزيل الشكر للدكتورة سحر سرسم لمساعدتها لي في الحصول على نسخة الكتاب.

لقد اعتمدت في نقل النصوص الكتابية، ترجمة الاباء الدومنيكان في الموصل والمطبوعة سنة 1875لاقترابها من حرفية النص المكتوب باللغة الاصلية.

الاب حبيب هرمز

كنيسة مار كوركيس الكلدانية

2001/1/4

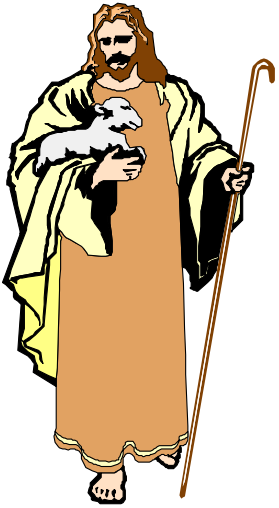

مقدمة المؤلف

ان هذا الكتاب الخاص بالصلاة، هو تتمة لكتاب نشر سنة **1987** بعنوان (الله وانت:الصلاة كعلاقة شخصية (**God and You:Prayer as a Personal Relationship**)،وهو مثل ذلك ايضاً مبني على الخبرة، خبرتي، وخبرة الكثيرين الذين تحدثوا معي حول خبرتهم مع الله. وهذا الكتاب مثل ذلك ايضاً مؤسس على التقليد الاغناطي الذي استخدم آيات الكتاب المقدس بخيال ليدع الشخص يواجه الله. وقد استعنت في هذا الكتاب بحوادث كتابية وشخصية مختلفة كي اوضح مختلف الطرق لتطوير العلاقة الحميمة مع الله، ومع يسوع، وروح الله القدوس.

رجائي هو ان–هذا الكتاب– يساعد بعض الناس، وعلى الاقل كي يدخلوا بعمق اكبر في تلك العلاقة التي تؤسس وجودنا الفعلي في هذا العالم. وفي حين ان آيات الكتاب المقدس تشكل القاعدة التي انطلق منها، مع ذلك اعترف بأنني لست مدرساً لآيات الكتاب المقدس. ولقد حاولت ان اكون اميناً للنصوص، لكن طريقتي يجب ان تدعى مقارنة عدا عن كونها تأويلية. وبكلمات اخرى، أقرأ في النص اكثر مما يقصده الكاتب. ان بعض الطرق لها تقليد جدير بالاحترام في تاريخ المسيحية والعهد القديم، وكمثال لذلك، الطريقة التي استخدمت فيها آيات سفر نشيد الاناشيد كي تشرح علاقة الشخص مع الله. انه مثال آخر يبرهن بطريقة اغناطيوس دي ليولا الذي يدعو عبر *تمارينه الروحية* من يمارس الرياضة الروحية الى التأمل في الانجيل.

ان القراء الذين يبحثون بحذر عن تمارين في الايات الكتابية عليهم ان يفهموا الشروحات التي تشير الى بعض الاعمال مثل تعليقات جيروم (**The Jerome Biblical Commentary**)، او تشير الى تعليقات مختلفة للكتاب المقدس، ومرة اخرى أردت الاشارة الى استخدامي لـ جنس الذكورة لله،فلقد

حافظت على التقليد المستخدم حتى ولو ان الله هو ليس ذكراً ولا أنثى. وعلى اية حال، فقد استخدمت الاصدار الحديث (New International Version)، والذي يبدو انه يحاول الوصول الى لغة اكثر شمولية، وأزلتُ شكل ضمير المخاطب في حالتي النصب والجر، وانت لله (THEE/THOU). وعلاوة على ذلك فبالنسبة للمزامير استخدمت المزامير بلغة شمولية جديدة(Psalms Anew In Inclusive Language). وفي كتابتي الخاصة حاولت تصغير ذلك الاستعمال الذي يزعج ويسيء الى العديد من النساء.

اهدي كتابي الى باتريشيا، وجيو جيجان، وجوزيف، وماكورميك، إذ انّ كل واحد منهم هو صديقي لعدة سنوات، وهم يقرأون مخطوطاتي باعتناء كبير، وانتباه وتفصيل وتشجيع. وقد ساعدوني في هذا الكتاب خاصة. ويبدو " انّ كلمة الشكر "كلمة صغيرة لكل من انا مدين لهم.

اريد ان اشكر ايضاً أعضاء جماعتي ادناه الذين قرأوا اغلب، او كل هذا الكتاب كما كتبته، وكانوا مساعدين ومشجعين، وهم: روبرت، وجيمس، وبروك، وجيرالد، وجريجوري، وجيمس كين، وتوماس، ودانيال، وتوماس ميرفي، ووليم سبوكسفيلد، ميشيل توث، وجورج وليم. ومرة اخرى فيلومينا شيرن التي قرأت المخطوط بعنايتها وحماسها الذي يعزز الثقة. اريد ان اشكر اسقفي السابق، ادورد فلاهرتي، واسقفي حالياً روبرت مانينك لتكليفهم لي كي اكتب، ولثقتهم بي.

أخيراً اشكر كل هؤلاء الناس الذين وسّعوا معرفتي بطرق الله. فإذا وجد القاريء عوناً في هذه الصفحات، ارجو ان يقدم صلاة من أجل كل الناس الذين جعلوا من الممكن لي ان اكتب لهم، ولأجلي طبعاً.

الفصل الأول

ازدواجيتنا مع الله

ماذا تعني الألفة مع الله؟. في سلسلة من الفصول التي تستند على قصص الكتاب المقدس؛ أريد أن أجد الجواب لهذا السؤال. وكبداية؛ دعونا نفترض أن الألفة تعني العلاقة الشخصية القريبة. وهذا التحديد بحد ذاته يكشف فوراً عن قضية تخص علاقتنا مع الله.

فعندما نسمع أحدهم يقول،"أريد علاقة قريبة مع الله "، فان العديد منا سيتفاعل مثلما تفاعلت المرأة التي تم الاستشهاد بها في كتاب: (التمرين في الإرشاد الروحي)، عندما سمعت شيئاً مماثلاً:

"في الوقت الذي أردنا أن نكون في جانبه، لم نُرِد أن نكون قريبين جداً".

ربما سنبتسم عندما هذه الملاحظة، ولكن اغلبنا؛ ومع شيء من الإكرام، نقول: إنّ أية رغبة في الاقتراب من الله؛ هي معجونة بخوفنا من متطلباته. فنستطيع أن نكوِّن على الأقل – من جانبنا – تصريحاً مثيراً للجدل بخصوص علاقتنا مع الله. وهذا التصريح هو: إننا نعيش الازدواجية. وهي تبدو كالرقص الذي فيه نبتعد ونقترب من الآخر. إن كلمات بني إسرائيل لموسى في البرية هي جزء من موقفنا نحو الله:

"وقالوا لموسى:" كلمنا أنت فنسمع ولا يكلمنا الله فنموت ""(خر 20: 19).

ولا نزال في نفس الوقت نسير بكلمات المزمر (27: 7–9):

استمع يا رب، اني اصرخ صراخاً؛ فارحمني واستجب لي.
فيك قال قلبي:"التمس وجهه"، وجهك يا رب التمس.
لا تحجب وجهك عني، ولا تنبذ بغضب عبدك.
ناصراً كنت لي فلا تخذلني، ولا تتركني يا إله خلاصي.

أريد أن أناقش في هذا الفصل؛ هذه الازدواجية نحو الله، وطرق التعامل معه في الصلاة. فإذا كنت لا زلت تقرأ المزامير، فانك تكون قد كشفت عن اهتمام بالله وبالصلاة، فهناك العديد من الناس لديهم هذا الاهتمام في هذه الايام، حيث تباع بوفرة كتب عن الصلاة، وتهيأ جلسات ومحادثات عنها، والعديد من الناس يظهرون رغبتهم في رؤية وجه الله بوضوح اكبر.

ومن ناحية اخرى، فان أي شخص يعطي ارشاداً روحياً يمكن ان يشهد على وجود مقاومة تجاه الرغبة في الاقتراب من الله. فحتى بعد عيش خبرات ايجابية جداً للقرب من الله؛ فان الناس يجدون انفسهم وسط صعوبة لا تأخذ بنظر الاعتبار استمرارهم في هذا النوع من الصلاة، فيبدو اننا مدينون للإجتهاد لتجنب الشيء ذاته والذي نريده والذي ربما يساعدنا على النظر الى مصادر المقاومة في داخلنا.

ان العديد من الاشخاص الذين يرغبون في علاقة مع الله، لديهم صورة عنه تجعل اقترابهم صعباً، كمثال سواء اشتق من علاقات الطفولة مع الوالدين، أم كأشكال السلطة، أم بالطريقة التي قدم فيها الله، و (أو) الطريقة التي فهم بها الطفل الحضور، كاستدعاء صورة الله، او كرئيس متعسف، او كسيد مقنَّع، فانه لا يحمل رغبة الاقتراب من الله، بل تسيطر صورة لا شعورية على رؤية الشخص لله.

ان المواعظ والشهادت التي تتحدث عن شفقة الله المحبة، ربما تثير بنا رغبة لمعرفة الله بشكل مختلف، تجعل الانفتاح الحقيقي والاقتراب من الله ممكناً، فالعديد من الناس يقاومون الاقتراب من الله لأنهم يخافون، فذلك الاقتراب يتطلب تغيير اسلوب الحياة وجذرية اكبر في التدين او التحول.

"اذا اقتربت من الله؛ فانه سيشاهد الحق من خلالي، وهذا يتطلب التغير."

"ماذا اذا اراد الله مني ان اصبح رسولاً !".ان الخوف بهذا الشكل ربما يأتي من طبيعة صورة الله المنوه عنها اعلاه، ولكنه ربما يكون علامة لبعض الصعوبات بخصوص سياق الحياة الحاضرة مهما كان مصدرها، فان بعض اشكال الخوف تمنع الاقتراب. يقاوم الناس الاقتراب من يسوع عادة بسبب الخوف الحقيقي، ربما لأنهم سينالون ذات المعاملة التي نالها. نقرأ في انجيل مرقس:

" ودعا الجمع وتلاميذه وقال لهم: "من اراد ان يتبعني، فليزهد في نفسه ويحمل صليبه ويتبعني." (مر 8: 34). ان اخذ هذه الكلمات بجدية قد يخيف أي شخص عاقل.

اخيراً، وربما بعمق اكبر، يبدو ان الخوف من الاقتراب من الله موجود في كل واحد منا، وسيحطمنا، كصوت بني اسرائيل الذي أخاف موسى،وكما في بداية الفصل السادس من سفر اشعيا الذي يرى عرش الله عندما يقول:

" فقلت:"ويل لي، قد هلكت لأني رجل نجس الشفتين، وانا مقيم بين شعب نجس الشفاه، وقد رأت عيناي الملك رب القوات " (أش 6: 5).

ان مصدر هذه المقاومة، يسكن فينا بعمق، ولا نرغبه او نطرده بعيداً، فهل نحن مدانون لأجل الوقت الذي رغبنا فيه الاقتراب من الله وعمل شيء بقوتنا كي نمنع بعض الاقتراب؟ ان الانعكاس على مواضيع هذه الآيات وعلاقاتنا الانسانية ربما يرينا الطريق للتقدم وتجاوز هذا المأزق.

من الواضح ان بني اسرائيل واشعيا كانوا واعين الى ردود فعل الاقتراب من الله، لذا فان اول نصيحة اقولها هي: انتبه الى شعورك الحقيقي، وإلى التفاعلات والافكار بخصوص الله، اذ لا نستطيع ان نكون واعين الى كل تفاعلاتنا مرة واحدة. ولكن نستطيع الاشارة الى بعضها فقط، مثلما شعر وسمع بنو اسرائيل وأشعيا، وهنا صلب المسألة، فلو لم يقل بنو اسرائيل لموسى كم هم خائفون، فانهم ما كانوا قد سمعوه يقول:

" لا تخافوا، لأن الله انما جاء ليجربكم، وليكون خوفه قدام وجوهكم، لئلا تخطئوا" (خر 20: 20).

ان خوفهم لم يتجنبوه، ولكن يبدو ان استدلال الكاتب كان سهلاً الى درجة انهم استطاعوا ان يقفوا الى مسافة قريبة من موسى وهو داخل الغيمة السميكة.

في البداية ربما إن احسن ما نستطيع عمله بأنفسنا هو سماع صوت خوفنا. وعندها نقف عن قرب لنرى ماذا سيحدث. ففي إشعيا، تأتي الاستجابة مباشرة من الرب:

" فطار إلي أحد السرافين، وبيده جمرة أخذها بملقط من المذبح، ومس بها فمي وقال:"ها إن هذه قد مست شفتيك، فأزيل إثمك وكفرت خطيئتك "(أش 6: 6-7)

يبدو إن إشعيا عندما سمع الرب يقول: "من أرسل ومن ينطلق لنا؟" (أش 6: 8)؛ حدث فيه تغيّر بهذه الخبرة، وذلك لأنه عندما يسمع الرب يقول ذلك؛ يجيب بلهفة: "هاءنذا فارسلني ". فإذا كنا واعين لما نحن عليه، ولأي سبب، وخائفين من الله، ونستطيع اجهار ذلك الخوف بكلمات مثل:"الهي، أنا مفزوع منك، هل تستطيع أن تساعدني كي أتغلب على هذا الخوف؟".إن كنا نستطيع ذلك حقاً؛ فإننا لا نؤمن إن الله محبة، ونستطيع كذلك أن نقول له:"يقول الكتاب المقدس انك محبة، ولكنني لم اختبرك في ذلك الطريق، فساعدني لأخرج من هذه الورطة.".

"أنا أريد أن اختبر محبتك، لكنني خائف، لا تخيفني.".

" دعاك يسوع بابا (أبا)، أريد أن اشعر بذلك الطريق بخصوصك ايضاً، ولكني لا أستطيع.".

" أريد أن أكون اقرب إليك، لكنني خائف بخصوص ما تطلب مني.".

" فأنا مملوء من الغضب بعد وفاة والدتي، ولا اعرف ماذا افعل بنفسي. أنا أخاف انك ستعاقبني لشعوري بهذا الطريق، فساعدني.".

لاحظ إن هذه الصلوات الصغيرة تعبر بسهولة وبشكل مباشر عن ازدواجيتنا. فالشخص يصّرح عما يخاف منه (أو تخاف منه)، وما يتطلبه (أو ما تتطلبه) الخطوة القادمة نحو الله. فكل ما نستطيع أن نعمله هو إعطاؤه فرصة

الاستجابة: أما الجلوس بهدوء، أو قراءة نص، أو سيراً في الغابة، أو عمل أي شيء يأخذ أفكارنا بعيداً عن أنفسنا واهتماماتنا لفترة قصيرة.

إن ما ينعكس على هذه النصوص الكتابية هو إنها تشير إلينا. ويمكن أيضا أن تؤكَد من خلال علاقة شخصية. فإذا أردت أن أعرفك معرفةً افضل لكنني أخاف منك لبعض الأسباب، فان افضل طريقة بخصوص هذا المأزق الحرج هي بالنسبة لي أن أقول لك ما اشعر به واطلب المساعدة. إذ ربما يُجرَح شعورُك بمشاعري السخيفة، أو بتقدمي وقولي لك إني فقدتك. ولكن لدينا بالحقيقة وفرة من المعطيات في آيات الكتاب المقدس حيث لا يعمل الله بتلك الطريقة:

" هل يمكن ان تنسى المرأة طفلها حتى لا ترحم ابن بطنها. وإن كانت هؤلاء ينسين. لكني أنا لا أنساك. ها قد سطرتك في كفي. أسوارك بين عيني دائماً " (أش 49: 16-17)

فإنك يحتمل ستتجرد مثل اغلب البشر من خلال صدقي وحتى بالتملق الذي اريد أن اناله لأعرفك معرفة أفضل وأثق بك كفاية كي اتحدث بنزاهة.

إن خوفي منك سيغلب فقط بخبرتي عنك، ونفس الشيء هو صدق العلاقة مع الله. حيث ستتغير صورتنا الخاطئة عنه فقط من خلال خبرتنا عنه. لقد وجد أشعيا بالخبرة انه قادر على أن "يرى" الله ويعيش، وهذه الخبرة قادته إلى التجاوب إيجابياً مع دعوة الله ليحمل الرسالة ويتعهدها.

إن علاقتنا مع الله تشبه أكثر من ذلك، ولن تتحوّل بسرعة من الخوف إلى المصاحبة. ولكن حتى لو ان الخطوة الاولى للقول لله هكذا، تجعلنا نشعر بخصوصه اننا خطونا خطوة نحو ألفة عميقة، لأننا كشفنا شيئاً عن انفسنا.

ربما الصلاة البنوية أدناه لجون دونيه ستساعد بعض القراء لفهم ما افعله كي يختبرون ازدواجيتهم نحو الله:

اقدم لك أيها الله الثالوث، قلبي المحُطَّم
انك لا زلت تطرق، تتنفس، تشرق، وتبحث كي ترمم
ذلك أني ربما أنهض واقف وأحني جسمي أمامك
إن قوتك هي للكسر، وللنفث، وللإشعال، ولجعلي جديداً

وأنا، أشبه بمدينة مغتصبة إلى مستحق آخر.
أعمل كي اعترف بك، لكن آه الى ما لا نهاية؛
لأن نائب ملكك فيَّ، وأنا يجب أن أدافع،
لكنني أسير، ويبرهن عليَّ ضعفي أو ما هو غير صحيح فيَّ

لا زلت أحبك كثيراً، وستُحَب بسرور،
لكنني مخطوبة إلى عدوك
طلقني، او حل تلك العقدة مرة اخرى؛
خذني اليك، حررني، لأجلي
من عداك يأسرني، لن يكون حراُ،
ولا عنيفاً ابداً، من عداك يسلبني.

الفصل الثاني

الشعور بالقبول: الخبرة الأساسية

رغم كل ازدواجيتنا بخصوص اقترابنا من الله، فإننا نسأل كيف نبدأ الخطوة الأولى؟. وما الذي سيشركنا مع الله كي نبقى في علاقة معه، حتى عندما يكون الخوف والقلق قويّاً جداً؟. تقول الخبرة إننا سنخاطر بالألفة مع الآخر عندما تكون محبة الآخر أقوى من خوفنا.

نقرأ في الرسالة الأولى ليوحنا:

" ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله هو محبة، ومن ثبت على المحبة، حل في الله، والله فيه.
وبهذا تكملت المحبة فينا، أن يكون لنا وجه في يوم الدين، لأنه كما كان هو، كذلك نحن أيضا نكون في هذا العالم.
ليس في المحبة خوف، بل المحبة الكاملة تنفي الخوف إلى خارج، لأن الخوف فيه نَصَب، والخائف غير كامل في المحبة. فنحن نحب الله لأنه احبنا أولاً"(1يو 4: 16-19).

هنا لدينا المفتاح الذي نحتاجه، فمن اجل التغلب على ازدواجيتنا؛ نحن بحاجة إلى خبرة عميقة عن كيفية كون الله قد أحبنا أولاً، لذا نحن وبكلمات أخرى بحاجة إلى خبرة تنتزع من قلوبنا التي تعبر بمحبة:(كم هي جيدة، جودة الله). ولكن كيف ننتبه الى تلك الخبرة، خصوصاً اذا كان خوفنا قوياً تماماً؟. أولا

دعونا نتحول الى مصدر غير كتابي كي نبدأ الاقتراب من الجواب. في كتاب انطونيو اكزوبيري (الامير الصغير) يلتقي الامير الصغير القادم من الكوكب استيرويد ب–612ثعلباً على ارضنا، ويتعلم من الثعلب ان ينشيء علاقة معه، فيسأل الثعلب الامير كي "يتآلفه " وذلك يعني" ان يختبر العراقيل والمعوقات." يقول الامير الصغير "لي رغبات ...ولكن ليس لي وقت كثير. فانا لدي اصدقاء لأكتشفهم، واشياء عظيمة كثيرة لأفهمها.". فيعقب الثعلب:"واحد فقط يفهم الاشياء التي يتآلفها "، ذلك عندما يفهم الشخص حقاً متطلبات الصداقة. ثم يقول الامير الصغير انه يجب ان يكون صبوراً جداً اذا اراد ان يكون أليفاً معه:"أولاً ستجلس على مسافة قصيرة مني –مثلاً – على العشب، وانا سأنظر اليك خارج زاوية عيني، وانت لن تتكلم، فالكلمات مصدر عدم الفهم، ولكن ستجلس اقرب اليَّ كل يوم ..." وهكذا تبدأ الالفة وأختبار الروابط بين الثعلب والامير الصغير.

وبينما تبدأ الرغبة في تعميق وتقريب العلاقة مع الله، فانه ربما نحن نرتجف مثل الثعلب، وبحاجة الى ان نكون مدجنين من قبل الله، ونستطيع ان نبدأ بسهولة كما فعلها الثعلب، أي أن نطلب من الرب ان "يتآلف " معنا كل يوم، ولكن ببطء، لذا سنعتاد على حضوره. ويقول الثعلب للأمير الصغير ايضاً؛ ان الطقوس مهمة، ويقترحان ان يجلسا على جهة لفترة كل يوم عندما يستطيع الامير الصغير ان يأتي. ونحن نستطيع ان نعمل نفس الشيء مع الله، ونجعل الزمن طويلاً او قصيراً، كما نرغب او نستطيع عندما نشعر اننا مرتجفون وخائفون، فماذا نرغب؟ نريد في الواقع ان نختبر الله كنبيل، ومعتنٍ ومحب، وجذاب. مثلما نرغب في الصداقة، نريد أن نستمتع بالله كي نحس بالأمان كما يوضحها الطبيب النفساني البريطاني ماكانتزي، انه يستشهد بالمحلل النفساني هنري كنترب الذي يقول:"إنها خبرة عامة في العلاج بالتحليل النفسي، أن نجد الصبور الذي يخاف

ويكره الله. إن الله الذي في كلمات ماكنتزي، هو دائم البحث عن الخطاة ..." فكل من يعمل عملاً رعوياً يستطيع أن يقول انها خبرة عامة أن يجد العديد من المسيحيين مثل هذا. وبينما تساعد الاحتفالات والخطب التي تتحدث عن محبة الله؛ فان ألفة الناس بحاجة إلى إختبار تلك المحبة.

في كتابه (Let this Mind In You)، يقود سيباستيان مور Sebastian Moore الإنسان إلى استنتاج ذلك؛ شرط استطاعتنا اختبار وجودنا. ويجب أن نختبر في نمط مطلق كوننا مرغوبين. إن أمنية الله أن تجعلني أكون، وبالحقيقة أن أكون مرغوباً. فإن معنا ما يثير رغبتنا، ومع الله تخلق رغبته المحبة ما هو محبة. لذلك رغبته تخلقني بمحبة المرغوب.

السؤال هو: هل نستطيع أن نختبر خلقنا؟. وبمواجهة ذلك يبدو إن السؤال سخيف، لأننا غالباً ما نفكر بالخلق أوتوماتيكيا كشيء انتهى. ولكن عمل خلق الله لا ينتهي أبدا. فإذا انتهى؛ نحن لن نكون. ومع بعض الفهم لخلق الله، يأخذ السؤال معنى حاضراً. إذا كنا نختبر خلقنا، حينذاك سيكون لنا خبرة أساسية نبحث عنها.

يؤشر مور إلى خبرة تدفق الرغبة كي يقول"ثم ماذا؟ أو أنا لا اعلم شيئاً." إذ ليست الرغبة في هذا الحب أو ذاك. علاوة على إن مناسبة الخبرة هي حضور نوع من (كوني محبة). فالرغبة هي لأجل ما لا يسمى. إن "كل " السر الذي يشير إليه مور هو خبرة يفسرها لويس في سيرة ذاتية مدهشة بالبهجة:

بينما انا جالس مقابل شجيرة كشمش في يوم صيف، برزت فيَّ فجأة وبدون تحذير، وكما لو من عمق قرون لا سنوات، ذاكرة ذلك الصباح الباكر عند البيت القديم عندما جلب اخي لعبة الحديقة الى المشتل، فمن الصعب التعبير بكلمات قوية كافية للأحساس الذي سيطر عليَّ. ان "السعادة العظيمة " في عدن، لملتن ... تجيء من مكان ما بالقرب مني. لقد كانت احساساً،

وبالطبع لرغبة، ولكن رغبة لماذا؟ . ليس بالتأكيد لأجل علبة بسكويت ملئت بالطحالب . ولا حتى – مع ان ذلك جاء فيها – لماضيَّ الخاص . . .وقبل ان اعرف ما ارغبه؛ فان الرغبة نفسها ذهبت . لقد زالت الومضة، وعاد فصار العالم بالمقلوب ثانية . او فقط حركني بشوق من اجل الشوق الذي توقف . لقد تطلب لحظة من الوقت فقط، وفي احساس محقق، وبالمقارنة؛ فان أي شيء آخر كان قد حدث لي كان تافهاً .

ان خبرة الرغبة هي حقاً البهجة التي فاجأت لويس، وقد كان لديَّ مؤخراً خبرة بدت ان تكون من ذات "الشيء " كما كانت. كنت ماشياً خارجاً في يوم خريفي جميل، ونقي،وصاف على الساحل، فلقد كبرت الشمس، وبانت اوراق الخريف والماء الازرق. وفجأة غمرني شعور عظيم بالعافية، ورغبة قوية كي اعرف "ما لست اعرف " لـ "كل شيء "، للاتحاد الذي جعلني سعيداً جداً. لقد تذكرت لبضعة اوقات اخرى مثل هذه البهجة والامنية، وادركت لماذا الخريف هو فصلي المفضل، وذلك لأنه ربط في الذكرى، مثل هذه الخبرات. ولكن وبسرعة مثلما جاء؛ ذهب. لقد كنت سعيداً بعد ذلك، ولم اكتئب لأنه لم يعد لي خبرة، وأنا أود أن اكتسب الخبرة ثانية، ومع ذلك فأنا لست محروماً بدونها. وبعد ذلك الاسبوع وفي الصف اعدت حساب الخبرة، والعديد ممن في الصف اعترفوا ان لهم خبرة مشابهة. أنني أتساءل فيما إذا كانت هذه الخبرات ليست خبرات خلقنا.

ان الله كما يقول مور؛ هو الوحيد الذي يمكن ان يمس صميم رغباتنا مباشرة، فان رغبته هي ان يجعلنا "تفاحة عينه "، وسيكون من الغريب حقاً ان نحن لم نجرب تلك الحقيقة الصميمية. من الخبرة التي امتلكها هناك المرافقة للرغبة كي " أنا لا اعرف ماذا " عن "كل " احساس بالعافية الشخصية، فشعرت بالرضا عن نفسي الى حد أنني فكرت بنفسي، لذا لا يبدو التفكير بالخبرة شذوذاً؛ اقصد خبرة طبيعتنا، ولا هي غريبة بعض الخبرات المتقطعة والعابرة.

ان ميلنا هو عندما ننتبه اكثر الى ما يحدث في سطح طبيعتنا اكثر مما يجري في اعماقنا، وعلاوة على ذلك فاننا تعلمنا ان لا نضع خزينا اكثر من اللازم للخبرات التي ربما "تدور في رؤوسنا " و " تجعلنا فخورين ". يساوي مور بين الخطيئة الاصلية وتلك العناصر في ثقافتنا وعوائلنا والتي تضغط علينا كي ننكر محبتنا ونضطهد ذكرى يدعوها لويس بالبهجة، وهي ذكرى خبرة نرغب في جعلها حالة تكون، وهكذا نرغب في "ما لسنا نعرف ".

يحتمل ان نكون لا فقط مندهشين للبهجة، ولكن مروعين او مفزوعين بواسطتها، فالازدواجية موجودة دائماً وحاضرة في علاقتنا الاقرب. اذاً يجب ان نتوقعها في العلاقة الاكثر صميمية من كل العلاقات، أي علاقتنا مع الله، وهكذا لهذا السبب وللعديد من الاسباب ستتلاشى خبراتنا هذه.

لازلنا الى حد الان نتذكر ان قلوبنا تشتعل فينا مثلما كانت قلوب التلميذين اللَّذين قابلا الرب القائم على الطريق الى عماوس. فاذا اخذنا هذه الرغبات بجدية، فسنفهم كيف يمكن ان يقول القديس اوغسطين: "*قلبي قلق حتى يرتاح فيك* ".

يشير مور الى الكلمة المبدعة لله، والتي توقظ رغبتي حيث تبدأ امنيتي تباعاً كي "اعرف ماذا " مثل اوغسطين. لقد طلب لويس ان يخفف من تلك الرغبة بأي عدد من الطرق، لكن لا احد فيهم أثبت كونه كمن "لا يعرف ماذا".واخيراً وجدوها، اذ ان البهجة كانت رغبة في سر ندعوه الله. فرودولف المقدس Rudoiph Otto s Holyلهو جذاب ورهيب، وهو المحب واعمق شيء في كل رغباتنا.اعتقد ان موضوع مثل خبرة خلقنا هو المبدأ العاطفي الاول والاساسي، والذي يجب ان يتناسب مع تطور العلاقة الشخصية المريحة لنا.

هناك قصة رائعة في سفر الخروج يمكن ان تخدمنا ايضاً كي نتغلب على خوفنا، انها قصة موسى والشعب في الصحراء. قال موسى للرب:

" انظر. انت قد قلت لي ان اصعد بهذا الشعب. ولم يتبين لي من ترسل معي. وانت قلت: قد عرفتك باسمك. وظفرت في عيني برحمة ايضاً الان ان كنت قد وجدت مرحمة في عينيك. فعلمني طريقك لاعرفك. لكي اجد نعمة في عينيك. وانظر ان هذه الامة هي شعبك، فقال الرب:وجهي يسير.فاريحك قال له:ان لم يسر وجهك.فلا تصعدنا من هاهنا، فاننا بماذا يعلم اني انا وشعبك قد ظفرنا منك برحمة. اليس بان تسير معنا. فنكون انا وشعبك مميزين من جميع الشعوب الذين على وجه الارض، فقال الرب لموسى:هذا الامر ايضاً الذي تكلمت عنه افعله. من اجل انك لقيت نعمة في عينيّ.وعرفتك باسمك، فقال له:ارني وجهك فقال:انا اظهر كل جودتي قدامك. وادعو باسم الرب قدامك. فارحم من ارحم. واتحنن على من اتحنن وقال ايضاً: انك لا تقدر على النظر الى وجهي. لآنه لا يراني بشر فيحيا وقال الرب:هوذا عندي مكان. فقم على الصخرة، فاذا مر مجدي. اجعلك في نقرة من الصخرة. واسترك بيدي حتى اجوز.ثم ارفع يدي. فترى خلفي. واما وجهي فلا يرى "
(خر33: 12-23)

لاحظ أولاً ان موسى يعلم الله ماذا يريد، لقد تعامل مع الله حسب كلمته "إذا كنت مسروراً مني، علمني طرقك ..." فيقدم موسى السبب الاول، ان ما

يريد الحصول عليه هو شخصي."انت تقول انك تحبني، اذن ارني ". والثاني مهم ايضاً "تذكر ان هذه الامة هي شعبك " وبكلمات اخرى "ارني طرقك لاجل الناس الذين تريدني ان اقودهم ". ان كل واحد منا يمكن ان يتعامل بنفس طريقة المجادلات هذه كي يقنع الله ليكشف عن نفسه الجليلة. لقد صنعنا الله لأنه رغب ان نكون اطفاله، لذا نستطيع تذكيره حتى باستخدام كلمات موسى. علاوة على ذلك فان كل واحد منا مسؤول عن الاخرين، أي في علاقة معهم اذ هم اطفال وشعب الله ايضاً. ويمكننا ان نستخدم الجدال الثاني لموسى ايضاً "اذا انا لم اكن خائفاً منك،فسأكون محباً لك اكثر، وساكون أحسن أم، وأب، وصديق، ومساعد عمل، وراعي، وعضو جماعة..الخ ".

لاحظ اذن العلاقة الطرية لله، حيث يعرف اننا محدودون في مقدرتنا على تحمل الاقتراب منه "لا يراني بشر فيحيا". لقد تذكرت العبارة المؤلمة بعمق للقديس اغناطيوس دي ليولا التي يستخدمها في (التمارين الروحية):

سأتأمل بمودة عظيمة ان الله ربنا عمل لأجلي، وكم اعطى بوفرة ما يمتلك، واخيراً، كم هي كبيرة – وبقدر ما يستطيع – رغبته كي يهب ذاته لي طبقاً لارادته الالهية.

ان الكلمات التي جعلتني أنحني، هي نفسها المؤلمة بعمق كما لو ان الله يود ان يعطينا نفسه اكثر، ولكن هذا غير ممكن بسبب محدوديتنا، لذلك يقول الله لموسى "واسترك بيدي حتى أجوز ..."، انه سيحمي صديقه من الاخطار مهما كانت قريبة منه. فكم هو شيء ملموس بالنسبة الى الله ان يقول ويعمل.

أخيراً نلاحظ الكيفية التي بها يقول الله: الرب ستكون له رحمة على الذي ستكون له رحمة. نريد ان نختبره كمنعم علينا."الله العطوف والمنعم، بطيء الغضب، وافر المحبة والاخلاص".

يبدو ان الله يعرف كيف اننا نقطع ونخيط حضوره حسب امكانيتنا ورغبتنا كي نتحمل ذلك. اذن فمثل الثعلب نسأله ان يكون حاضراً، لكن على مسافة محترمة، لذلك سنعتاد اليه، ويبدو انه سيلتزم حسب رغباتنا. وسيحصل احدنا على الانطباع ان الله سيعمل مهما كان ضرورياً ان يبرهن لنا انه حقاً "أبَّا (بالارامية)" أي أبي العزيز، أمي العزيزة. انه يريدنا ان نؤمن بذلك، وان نقوده الى المجيء بالقرب ليس بتغيير فكره وقلبه الى حد قتل كلمته يسوع. لذا اننا بحاجة الى بعض الخبرة عن اله يضمننا في علاقة قوية الى حد أن نترك الله يتغلب على خوفنا.

الفصل الثالث

إنماء الشفافية

توجد في سفر التكوين واحدة من اكثر الصور المحببة والأليفة بين الله والبشر، وقد كتبت بعد السبي، إذ نقرأ:

"فسمعا وقع خطى الرب الإله وهو يتمشى في الجنة عند نسيم النهار، فاختبأ الانسان وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين أشجار الجنة..."(تك 3: 8).

ان انطباع أحدنا هو ان هذا السير في الحديقة كان حدثاً عاماً في عقل كاتب القصة، حيث نحن مدعوون الى أن نتخيل الله يمشي مع آدم وحواء. هنا ثلاثة أصدقاء يتمتعون بعجائب الخلق وهم في الطريق، وربما يمشون حول حديقة جميلة، لكن هذا المساء دخل عنصر جديد، فآدم وحواء أكلا الفاكهة المحرمة.

"وسمعا صوت الرب الاله ماشياً في الفردوس عند مهب ريح النهار. فاختبأ آدم وامراته عن وجه الرب الاله في وسط شجر الفردوس
فنادى الرب الإله آدم وقال له:أين أنت فقال:
سمعت صوتك في الفردوس ففزعت لأني عريان فاختبأت ".(تك 3: 8-10)

هنا الالفة انقطعت.لقد رمز الكاتب هذا القطع من خلال خوف الرجل لكونه عارياً أمام الله "فاختبأت"، حيث قبل ذلك لم يكن هناك شيء يتم اخفاؤه عن الله، ولا حتى الاجزاء الاكثر حميمية في الجسد، اما الآن فالرجل والمرأة يحاولان إخفاء نفسيهما من الله.

نقرأ في كتاب المساق الى الإلوهية (DRAWN TO THE DIVINE) لوليم رايزر William Reiser؛ تحت عنوان الفصل الاول:"آدم في الخفاء "، إشارة إلى أننا جميعاً نختفي ونهرب بعيداً عن الالفة مع الله كما فعل آدم." يبدو من السهل القول ان الشفافية بين الله والناس مؤلمة وصعبة جداً، ففي الفصل الاول ناقشنا بعض طرق التغلب على هذه الازدواجية، وفي هذا الفصل أريد أن أطيل اكثر في قضية الشفافية بما انها تدخل ضمن علاقتنا مع الله.

لا زلنا ندور حول السؤال عن ماذا تعني الالفة مع الله، فالفصل (4 الى 11) من سفر التكوين بعد السقوط تصور العالم حيث البشر اكثر جفاءً من الله، وحتى الواحد مع الاخر. يمثل الجفاء الانساني في الفصل الحادي عشر من خلال تشويش اللغات الذي يبدأ في بابل. فقصص إبراهيم التي تبدأ في الفصل الثاني عشر يمكن أن تبدو بداية جديدة، يعلق يوجين مالي Eugene Malyفي كتاب (شرح جيروم للكتاب المقدسThe Jerome Biblical Commentary):" ان تصاعد (كره الله) والمميز في الفصول الاحد عشر الاولى، تمهد الطريق نحو (التحول الى الله) ". أريد أن استخدم بعض قصص ابراهيم كي أصور الالفة النامية مع الله من جانب الانسان، حيث سأستخدم أدناه النص الكتابي كفرصة تعكس علاقتنا مع الله، فسنقرأ في النص المعالج ما هو اكبر مما نوى مؤلفو القصص الاصلية او المؤلف، او المؤلفين الاخيرين، اذ ارجو أن لا نخلق صراعاً في النص، ولكن بالاحرى أن نقرأه على شكل صلاة ونحترمه في حياتنا.

تفتتح القصة بكلمة الله الى ابرام:"وقال الرب لأبرام:

"انطلق من ارضك وعشيرتك وبيت ابيك، الى الارض التي أريك. وأنا أجعلك أمة كبيرة وأباركك واعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك، والعن لاعنيك وتتبارك بك جميع عشائر الارض "(تك 12: 1-3).

ان رد ابراهيم هو ان يدخل ارضاً مجهولةً، فيكرر الله وعده في الفصول الثلاثة على التوالي في أن يبارك ابرام، عدا الفصل الخامس عشر حيث نسمع ابرام يرد بشكل لفظي على وعد الله عندما يريد معرفة كيفية إنجاز الله لوعده، لأن زوجته ساراي عقيمة، فيطلب ابرام علامة، والله يتجاوب مع طلبه.

دعونا نتوقف هنا ونعكس المسألة، فكنص نعتبر ان مواقف ابرام ردُّ أوليُّ على مبادرة الله عبر الطاعة العمياء والمطلقة والثقة. ولكن عندما يستمر عقم ساراي فقط يجيء السؤال "كيف سيتحقق الوعد؟". ان ابرام لا يسقط السؤال، بل يضعه امام الله، والله يرد، لكن لا يزال ابرام يشك ويتساءل عن علامته، ويرد الله مرة اخرى، هنا نرى أساساً نمو الالفة مع الله، والرغبة في الاتصال مع الله، وان ما يتعلق به يعمل لي. فإذا كنت لا افهم طرقه معي او لا احبُّها؛ يجب أن أكون راغباً في محاولة كشف نفسي لله إذا كنت اريد علاقة اقرب معه، فبواسطة كشف شكوكه واسئلته فقط يجد ابرام حقاً ان الله يريد منه الايمان والثقة به. وبهذا الخصوص من المستحسن ان نذكر انفسنا بما يحدث لأية علاقة شخصية عندما نحجب عن الاخر ما تفعل فينا الكلمات او الاعمال الاخرى.

افترض انك ستقول انك تحبني، ولكنني اجد ذلك صعباً لأنك لا تأخذ أية مبادرة في العلاقة، تاركاً كل شيء لي. اذن انا لا اخبرك ما انا اشعر به، وعليه فان علاقتنا ستكون في خطر كونها مؤدبة وشكلية وبعيدة، وابرام لم يأخذ هذا الطريق.ففي الفصل السابع عشر، تدخل في هذه العلاقة المتطورة عناصر جديدة، فابرام الان في التاسعة والتسعين سنة من عمره، وساراي في التاسعة والثمانين، والله يكشف من هو " انا الله كلي القدرة " فيسقط ابرام على وجهه، ومن المحتمل لأعجابه. بينما الله يجدد وعوده ويغير اسم ابرام الى ابراهيم " لأني قد جعلتك أباً للعديد من الشعوب "؟ ان وعود الله هي ان يكون اله الناس العظماء الذين أبوهم هو ابراهيم. وبعد ذلك يقول "وقال الله لابراهيم:" ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي. بل اسمها سارة وابارکها فتكون لأمم وملوك وشعوب منها يكونون "

في بعض اللغات كالفرنسية والالمانية على سبيل المثال، أشر تطور الالفة عبر التغير من عنوان شكلي الى استخدام الاسماء الاولى والاشكال النهائية لـ " أنت ". فليس من المحتمل ان يكون مكلفاً دراسة مثل هذه العملية في عملية تغيير الاسم هذه.

إشارة أخرى إلى أن التغيّر في نوعية العلاقة تتواجد مباشرة بعد وعد الله بخصوص سارة" فخرَّ ابراهيم على وجهه وضحك، وقال في قلبه:

"هل يمكن ان يولد ابن لمن هو ابن مائة سنة، وتلد سارة وهي بنت تسعين سنة. وقال ابراهيم لله، ليت اسماعيل يعيش بين يديك "(تك17–18).

في وسط هذه الصلاة (أي محادثته مع الله) كان لابراهيم ضحك باطني حول ما يعده الله، ثم يحصل عملياً:

" إذا صرت أباً لعدّة شعوب، فهذا لا يتم إلا من خلال اسماعيل، لذلك أريد منك أن تباركني ". كيف ستكون استجابة الله؟ انه لم يغضب او ينزعج، لكن يرد بدقة " نعم، لكن زوجتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه اسحق، واقيم معه ميثاقي عهداً مؤبداً، ولنسله من بعده " (تك19). لكن ذلك ليس نهاية الرد، بل يستمر يقول:

"وأما إسماعيل فاستجبت لك فيه، ها أنا أباركه، وأكبره وأكثره كثيراً جداً. سيلد اثني عشر رئيساً. واجعله امة كبيرة ولكن ميثاقي اقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الحين في السنة الاخرى "(تك20-21).

يبدو ان ابراهيم يتجاسر بخشونة أثناء محادثته الله، أيمكن له أن يسخر من الان لما يقوله الله ويتّكتُ على ما يصنعه، ويستطيع في الواقع أن يخبر الله كي يكون عملياً. ان رد الله يتّسم بالحنان. إذ يستطيع أحدنا أن يعلم بوجود ابتسامة بين الكلمات،"أما بالنسبة إلى إسماعيل، فقد سمعتك.".

هناك مشهد مشابه يكرر في الفصل 18 عندما يظهر الرب ثانية الى ابراهيم،(نستدل من خلال القلق الظاهر على وجود عدة تقاليد تُربَط في هذا الفصل معاً، مثال "الرب "،"ثلاثة رجال "،"الذين قالوا "،"قال". وفي الفصل التالي سنرجع الى هذه النقطة عندما نناقش كيف ان الله يُجرَب من قبل الناس). يدعو ابراهيم ضيوفه الى وجبة طعام وفق الكرم الشرق أوسطي المعروف، وخلال هذا العشاء حول موقد النار، يسأل الله عن سارة، وبعد ذلك يعد انه عندما يرجع ربيع

سارة؛ سيكون له ابن. تستمع سارة وهي بباب الخيمة تضحك مع نفسها وتقول "بعد ان ضعفت وصار سيدي كبير السن؛ هل سيكون لي هذا السرور؟"(12). فيسأل الرب ابراهيم "لماذا ضحكت سارة؟" (13). ويكرر وعده، وسارة تنكر الضحك لأنها خائفة، لكن الله يقول "نعم، أنت ضحكت "(15). ونحن لدينا انطباع بحصول مداعبة أثناء الحديث بين الاصدقاء. وحتى انّ خوف سارة في النهاية، يبدو انه قد عولج بسهولة من قبل الرب. وان هذا المشهد ينزوي فيما بعد عندما يخبر الرب ابراهيم انه ينوي تدمير سدوم وعامورة "فقال الرب:العلّي اخفي عن ابراهيم ما أنا فاعله * وابراهيم يكون أمة كبيرة قوية،وتتبارك به جميع أمم الارض *لأني عالم به أنه سيوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا البر والحكم، لكي يأتي الرب الى ابراهيم بما تكلم به ". كما يبدو ان الله يصبح اكثر شفافية مع ابراهيم مثلما الثاني ينفتح اليه اكثر، وعندما يكشف الرب عن ما ينوي عمله، يقترب إبراهيم، ويبدأ في مساومة الله ويذكره بمن هو:

" أتهلك البار مع الفاجر. عسى ان يكون خمسون باراً في المدينة، أتهلك المكان ولا تصفح عنه من اجل الخمسين باراً الذين فيه. حاشاك ان تفعل مثل ذلك، ان تقتل البار مع الفاجر، فيكون البار كالفاجر، حاشاك ذلك، أديان كل الارض لا يصنع حكماً " (23–25).

إذا كنت تستطيع تخيل الحديث مع رب الكون في هذا الشكل، يمكن ان تشعر نفسك بالفزع من توقع غضب الله، ولحد الان نحن جميعاً نعرف ما حدث، فبدلاً من أن يصبح غاضباً؛ يتفق الله على الخمسين، وبعد ذلك تبدأ

المساومة، وأخيراً يوافق الله على أن لا يدمر سدوم اذا وجد عشرة اشخاص مستقيمين في المدينة و الاحياء المجاورة.وقد نجرب إذا قلنا ان مثل هذه الالفة كانت حسنة لابراهيم، ولكنها لا تشبه حالتنا. لأننا لا زلنا بحاجة الى تذكير أنفسنا أن هذه القصص التوراتية تخبر كي تكشف عن ما يريد الله، حيث يظهر الله مسروراً من انفتاح وتطور شفافية ابراهيم، وان مثل هذا التطور يظهر نمو الثقة بالله، لذلك فمن خلال دورة القصص يمكن ان يقول ابراهيم أي شيء يخطر في عقله، ويعرف انه سيُسمَع وذلك لأن الله كان مسروراً من لغة ابراهيم الناضجة، وربما سيكون مسروراً من جهودنا كي نملك الاحساس على حد سواء. انها تجربة مستحقة كخطوة للتغلب على خوفنا من الاقتراب إلى الله، أو أن نضعها إيجابياً، كخطوة اخرى نحو علاقة مرضية اقرب الى الله.

الفصل الرابع

سماع الله

في الفصل الثالث نظرنا الى الالفة النامية بين ابراهيم والله، إذ ركزنا على ما يبدو من تطور في رغبة ابراهيم ومقدرته على الكشف اكثر فاكثر عن نفسه لله، ولاحظنا ان ابراهيم اصبح تدريجياً اكثر رغبة لأن يكون شفافاً امام الله. لكننا اصبحنا مدركين ان الله اخذ المبادرة ايضاً في العلاقة، وكشف عن نفسه منفتحاً اكثر فاكثر لابراهيم. ان العملية توجت في كشف الله عن نيته في تدمير سدوم وعمورة، الكشف الذي قاد ابراهيم الى مواجهة الله ومساومته بشكل مباشر. ربما تساءل البعض منا عن كشف الله هذا، وخاصة حول كيفية اعلان الله عن نفسه لنا. تسجل التوراة العديد من كلمات الله الى افراد ومجموعات، اذ يتكلم الله مع:-

مع آدم وحواء في البستان قبل وبعد السقوط،

ومع قايين بعد قتله لهابيل،

ومع نوح عندما يحذره من الطوفان القادم،

ومع نوح وابنائه بعد الطوفان،

ومرات عديدة مع ابراهيم وسارة،

ثم مع موسى وهارون ومريم،

ومع الانبياء،

ومع داود وسليمان،

ومع العديد من الناس.

وفي العهد الجديد يتكلم من خلال جبرائيل رئيس الملائكة الى مريم وزكريا،

وفي الحلم مع يوسف،

ومباشرة مع يسوع، الذي بعد موته يتكلم مع مريم المجدلية،

ثم مع بطرس

وكل التلاميذ،

وبعد صعود السيد المسيح الى السماء، يتكلم مع بولس.

ان السؤال المطروح هو اننا اذا تحدثنا عن الفتنا مع الله، ومع يسوع، ومع الروح القدس؛ فهل الله يعلن نفسه لنا مباشرة، واذا كان كذلك؛ فكيف؟.

لِنَعُد الى تلك الصورة الجميلة في الفصل الثالث من سفر التكوين، حيث يسير الله مع الرجل والمرأة في البستان في يوم بارد، فمن نحن كي نصنع هذا التخيل؟ ومع ذلك فالله ليس جسداً، ومن الواضح اذن انه لم يَسِرْ في البستان بالطريقة التي نسير انا وأنت بها. كان من الممكن لأدم وحواء ان يمسكا ايادي احدهما الآخر، وينظر الواحد الى الآخر، لكن ادراكهما لحضور الله جعل ذلك مختلفاً، اذ ليس مهماً كيف كان من الممكن ان تكون ألفتهم مع الله، فان تلك الالفة كان لزاماً عليها ان تتوسط في بعض السبل؛ احاسيسهم، وتخيلاتهم، ومشاعرهم، وأفكارهم. وبكلمات اخرى من خلال خبرتهم عن الله، مثلما نحن ايضاً "نختبر شيئاً آخر في نفس الوقت " كما يقول جون. أي سمث John E.Smithفي اصداره (الخبرة والله Experience and God). من المهم ان نفهم هذه الفكرة خشية –ان بوعي او بلا وعي –نكون خبرة عن مختلف الابطال التوراتيين والقديسين تختلف عن خبرتنا، وهكذا تصبح خارج متناولنا وفهمنا.

لنتذكر الكشف الذي يصفه أشعيا في بداية الفصل السادس، والذي أفزعه جداً، حيث استطاع رؤية الرب والمحكمة السماوية. فعندما يصرخ من الخوف؛ يطير احد السرافيين، ويمس شفاهه بجمرة، ويخبره ان ذنوبه قد غفرت، فيسمع صوت الرب يقول " من أرسل؟ ومن سيذهب لأجلنا؟ "، فيجيب أشعيا "

هأنذا، أرسلني " (أش 6: 8). لقد امتلك أشعيا خبرة قوية مع الله، وان ذلك يستحيل نكرانه، ولكن في محاولة وصف خبرته، يستخدم صوراً مألوفة له ولقرّائه، كالعرش، والسرافيم، والدخان ...الخ. فنستطيع ان نخمن ان في الخبرة نفسها هذه الصور التي كان يستخدمها أشعيا. ونستطيع القول ان الله استخدم خيال أشعيا (الذي تقيد بكل ما رأى وسمع وشعر في حياته) كي يوصل الدعوة الى أشعيا.

لا يوجد طريق آخر للبشر كي يختبروا الله من خلال وعيهم الانساني، فالله كخالق لنا والمستمر في خلقنا؛ يمكن ان يمسنا في قلوبنا. يقول سيباستيان مور Sebastian Moore؛ ان رغبة الله هي في ان يصنعني كي أكون، وان اكون مرغوباً، وتلك اللمسة المبدعة تجرب بين الحين والآخر. فنحن حسب كلمات سي. أس لويس C.S.Lewis" مندهشون بالبهجة "، ولكن في اختبار تلك اللمسة نجرب شيئاً ما عدا ذلك ايضاً وفي نفس الوقت. فعلى سبيل المثال، ان لمسة الانسان الدافئة، ونور الشمس على الاوراق، والذكرى، والصورة، هي تصورات لا تُفرض. ولدينا خبرات مماثلة لما لاشعيا ايضاً، فعندما شعر أشعيا بالحضور الرهيب؛ أمتلأ بالشوق والفزع، وربما حدث ذلك في كنيسة ما تتسم بهندسة معمارية، وفي جو من الصمت فيحس كل المساهمين بخبرة الحضور وسط السر المقدس.

يتذكر فريدريك بوتيشنير Frederick Buechnerفي سيرته (الرحلة المقدسة The Sacred Journey) حادثة يعتقد انها كانت لمسة كشفية لله، فلقد اخذته امه مع اخيه الى برمودا كي تعيش هناك بعد انتحار ابيه المأساوي. ومع قرب نهاية السنة الثانية لبقائهم، كان يجلس عند الشروق مع بنت بعمر 13 سنة، وعندما اصطدمت ركبهم المكشوفة للحظة يقول:" ...وفي تلك اللحظة امتلأت

بذعر طيب ! وألم الشوق، اذ لم يكن لدي فكرة ان ما أعرفه عن حياتي لا يمكن ان يكون كاملاً حتى أجده "

انه لا يستطيع أنكار ان المشاعر يمكن ان توضح بشكل نفسي، فهو يقول " ...لا أختار الانكار، وفي أي منهما؛ فإن أحساس المعطي الغير مرئي هو مهم، وان سلسلة العطايا المخفية ليست فقط جزءاً من حقيقتهم، ولكنّها جزء اعمق في ألكل "(ص **51-56**).

لقد تأملنا في الخبرات المشابهة كما في الفصل الثاني، والاشارة هنا هي اننا يمكن ان يكون عندنا خبرات مشابهة ايضاً لما يصفه أشعيا، حتى اذا كانت بقوة أقل في التصور والفحوى. لقد جعل الله سر خلقه معروفاً لنا من خلال خبرتنا الانسانية، ويمكن ان نجعل نفس الخصائص عند النظر الى قصص ابراهيم وسارة، إذ نذّكر انفسنا ثانية ان هذه القصص اخبرت بعد قرون من الاحداث، فيفترض ان يعاد حسابها. ولا يمكن ان نكون متأكدين مما جربه ابراهيم وسارة، لكننا يمكن ان نستعمل القصص للوصول الى نظرة فاحصة في سر (الله معنا)، وهكذا اذاً" يسمع" ابراهيم الله، ويخبره كي يترك بيته ليدخل ارضاً مجهولة، وهذا يجب ان يتم من خلال صوت خيالي،"صوت داخلي" كما هو"، وذلك الصوت الداخلي يشترط ان يكون قد سمع وسط الحياة، وكما هو ديني بعد ذلك، حيث سيشترط كل القصص المسموعة عن الله، فبعض الناس يسمعون مثل هذا الصوت الداخلي بكلمات وجمل متميزة، وعلى اية حال يصف الآخرون ما يحدث لهم كشعور اكبر مما يتصلون به، فعلى سبيل المثال " شعرت ان الله مسرور مني، فقد كان يخبرني انه يحبني "، او " أحسست ان الله سألني فيما اذا كنت أبشر بكلمته كأشعيا.". دعونا نعود الى الفصل الثامن عشر من سفر التكوين:

" وتراءى له الرب عند بلوطات ممرا، وهو جالس على باب الخيمة، وفي وقت الظهر فرفع عينيه ونظر، واذا ثلاثة رجال قياماً لديه، فلما رآهم، اسرع للقائهم من باب الخيمة، وسجد الى الارض "(تك 18: 1-2)

ويلاحظ لاحقاً في النص ان هناك تحولاً من " قالوا" الى " قال الرب " في نفس المحادثة (الآية 9و10)، فمن المحتمل ان المحرر الاخير للنص خلط تقاليد مختلفة، ففي واحدة منها تحدث عن رؤيا شخص واحد، وأخرى عن ثلاثة اشخاص، ولكن كلتا الصورتين تمثل الرب بوضوح، فان نمط القصة مألوف: ظهور غريب أو غرباء، والمقيم المندهش استقبلهم بكرم وضيافة، ويبدو انهم مبعوثو الله او الله نفسه.

يبدو ان هذا التفسير " الطبيعي " يستنزف معنى القصة دون الحاجة الى اثبات ذلك. انني ادعو القاريء كي يعكس ذلك سواء حصل شيء مشابه ام لم يحصل، فهل سبق وان تنصلت من لقاء مع غريب بالصدفة، وشعرت انك تسير بقوة واثارة وحيوية واعياً بطريقة ما " لقاء الرب " في هذا اللقاء؟. ان حياة الشخص يمكن ان تتغير الى الابد بواسطة هذا الحدث.

لقد حصل لي في حياتي الخاصة شيء مشابه، اذ قُربَ نهاية السنة الثانية في الكلية، كانت لدي فكرة الانضمام الى رهبنة الآباء اليسوعيين منذ سنة الابتداء، ولكن قررت ان انتظر على الاقل حتى انهي دراستي في الكلية، وفي الحقيقة تذكرت بعد محاضرة القيت من قبل شخص علماني مشهور؛ انه وانا كاليسوعيين؛ نستطيع العمل جيداً لأجل الناس مثلما يعمل العلماني، ولقد كنت ادرس متهيئاً للإمتحانات النهائية مع صديق، وفي نهاية المساء أخبرني _ وادهشني كلياً _ انه قرر ان يدخل الرهبنة اليسوعية، فقلت لنفسي " اذا كان هو

يستطيع فعل ذلك، فلماذا لا أستطيع أنا؟"، وبدأت بمعالجة الطلب بعد ذلك بيومين، فدخلنا كلانا في ذلك الصيف؛ الرهبنة اليسوعية في نفس اليوم بعد شهرين، وبالطبع كان هنالك الكثير من التأثيرات في العمل، لكن كبوتشنير Buechner؛ اخترت ان ارى ايضاً اصبع الله في الخبرة، وقد أثر على حياتي بشكل كبير.

ان ذاكرة بوتشنير تزودنا بمثال آخر، فبعد فترة غير طويلة لروايته الاولى المنشورة، دعاه وزير مسؤول الى الغداء، ولم يكن لهما إلا القصير من الحديث المشترك حتى بدأ يتساءل عن ماهية المسألة، ولكن الحديث تم تحويله عندما تحدث الوزير عن عطية بويتشنير فقال:

> هل قال انه سبق وان كرس عطيته لأجل الله؟. أم قال انه كرسها لأجل الكنيسة؟ أم لأجل السيد المسيح؟. لم أعد اتذكر كيف كرسها بالضبط، ولم يجعل منها شيئاً عظيما، ولكن نقل خبرته حالاً الى شؤون أخرى لذلك لا أعرف الى هذا اليوم فيما إذا كان هذا ما قد دفعه ليدعوني الى الغداء أم لا، ولكي يقوله لي،أم لا....لقد كان ذلك النهاية، عدا تلك التي كانت خارج الاحداث التي حصلت خلال الخمسة سنوات من التعلم في لورنيسيفيل، انها ذكرى من عدة ذكريات متميزة كالصورة القديمة التي حُفِظَتْ صدفة بين صفحات كتاب قديم (ص101)

ان بويتشنير الذي ليس لديه نية لمثل هذه المهنة، هو اليوم خادم مشيخي، ومواعظه وكتبه أثرت على عدد كبير من الناس، وربما نحن ايضاً نقابل غريباً ونشعر مثل التلميذين اللذين قابلا الغريب على الطريق الى عماوس:

" ألم تكن قلوبنا محترقة فينا. اذ كان يكلمنا في الطريق ويفسر لنا الكتب " (لو 24: 32).

فاذا كان كذلك، فان لدينا خبرة بطريقة اتصال الله بنا من خلال الناس الذين نقابلهم، ومن خلال احداث حياتنا ايضاً.

هناك قصة رائعة عن كيفية اختبار الله في الطبيعة من قبل أيليا في سفر الملوك الاول، الفصل التاسع عشر حيث وصل ايليا الى جبل حوريب وسكن في كهف حيث يقول له الرب:

"أخرج فقم في الجبل امام الرب، وهوذا الرب يجوز، وريح شديدة ومنيعة تقلق الجبال وتكسر الحجارة امام الرب. ولكن ليس الرب في الريح، ومن بعد الريح زلزلة، ولكن ليس الرب في الزلزلة ومن بعد الزلزلة نار، ولكن ليس الرب في النار، ومن بعد النار صوت منخفض خفيف فلما سمع ايليا، لف وجهه بردائه، وخرج وقام بباب المغارة، واذا بصوت يقول له: ما لك هنا يا ايليا "(1مل 19: 11-13)

غالباً ما يشعر الناس بالاكتفاء لأن الله يتحدث مباشرة اليهم في عجائب الطبيعة، فغروب الشمس لا يثير مشاعر اللذة فقط، ولكن الرهبة ايضاً، وانا ربما امدح الله آنياً لأنني احس بحضوره

ان قوة العاصفة يمكن ان تثير مشاعر قدرة الله. ان لعبة الضوء والظل في غابة يمكن ان تسوقنا الى الاحساس بحضور الله السري. و– كما مع ايليا–

يمكن ان يسقط على وجهنا نسيم لطيف يرافقه الدفء، الشعور اننا بعناية الواحد الكلي القدرة، والذي هو لطيف كالام مع طفلها، او الحبيب مع المحبوب.

دعوني انهي هذا البحث بنص آخر لفريدريك بوينتشر:

"لقد بدا لي حينذاك، ولازال بادياً لي، ان الله يتحدث الينا في هذا العالم، فاذا تحدث الله حيثما كان، فانه يتحدث في حياتنا الشخصية." ان ما نحتاجه كي نتطور هو موقف تأملي نتعلم فيه كيف نلاحظ الله عندما يتحدث في حياتنا الشخصية.

الفصل الخامس

الكشف عن حاجاتنا

"كل الحياة هي ألم " هذه هي أولى الحقائق البوذية النبيلة الاربع لبوذا، فيبدأ أم سكوت بيك M.Scott Peck كتابه الرائج (الطريق الاقل سفراً The Road Less Traveled)باعادة سبك هذه الحقيقة ويقول:

"الحياة صعبة " سواء كنا متفائلين ام متشائمين في مواقفنا نحو الحياة، فكلنا نعرف اياماً تكون الحياة فيها مؤلمة حقاً، خصوصاً عندما نشعر اننا في نهاية الحبل المشدود. يكون من الممكن لنا ان نفقد عملاً فجأة او نصاب بمرض خبيث، او عندما نشعر بفقدان محبوب ما، او نواجه خسارة، او نشعر اننا تحت ضغط ووحيدين، ونتساءل؛ ما تُخبِئه الحياة لنا. ربما نشعر بالانسحاق الى درجة الفاقة ولا نرى طريقاً نخرج بواسطته نحن او اولادنا، وربما نشعر باليأس كلما نرى الفقير ونتمنى ان يخدمه صاحب الملكية الطماع الغبي، او تخدمه المؤسسة القاسية، فالحياة صعبة، وتجلب لنا الكثير من الألم بالتأكيد. اقترح الاشارة الى طرق جلب انتباه الله الى ألمنا، وحاجاتنا، والاصغاء الى رده.

ربما يدعي القاريء انه لم يتهيأ مسبقاً للاحساس لأن يخبر الله بمشاكله بما انه يعرفها، والشيء الوحيد الذي يخلق الاحساس هو ان نسأل مساعدته. وذلك هو هدف صلاة الالتماس، ولكن بما ان الصلاة هي علاقة شخصية، فان القضية ليست قضية معلومات، ولكن مشاركة، حيث اعرف ان صديقي ربّما يتألم بسبب وفاة ابيه المفاجيء، ولكن اريده ان يتحدث معي بخصوص مشاعره وردود فعله لأنه صديقي. انه يعرف معرفتي بكونه مدمر، ولكنه لازال بحاجة الى التحدث معي حول مشاعره لأنه صديقي. فبين الاصدقاء والاحباب ليست

المعلومات مهمة، ولكن الاتصال والشفافية، وبنفس الحقيقة هذه نتقدم نحو العلاقة مع الله.

نقرأ في سفر صموئيل الاول عن ورطة حنة؛ زوجة من زوجتي ألقانة، حيث كانت الاخرى فننة قد انجبت اطفالاً بينما حنة لم يكن لها طفل، وكانت فننة توبخ حنة بشكل منتظم لعقمها، وعلى الرغم من ان ألقانة تعهد بحب حنة، لكنها كانت بائسة الحال حينما صعدت الى الهيكل لتقدم ذبيحتها الى الرب. ذهبت في هذا الوقت الى الهيكل لوحدها:

" وهي مرة النفس، فصلت الى الرب وبكت بكاءً " (1صم 1: 10)

واذ هي كئيبة؛ اقسمت الى الرب إن هي انجبت ابناً؛ لجعلت منه خادماً له. وفي ذات الوقت كان الكاهن عالي جالساً بالقرب، ولاحظ حركة فمها:

" فان حنة كانت تتكلم في قلبها، وشفتاها فقط تتحركان من غير ان يسمع صوتها، ظنها عالي سكرى، فقال لها عالي: الى متى تتساكرين، انزعي خمرك عنك، فاجابت حنة وقالت: كلا يا سيدي، اني امرأة حزينة الروح، ولم أشرب خمراً ولا مسكراً، ولكنني سكبت نفسي امام الرب، فلا تحسب امتك من بنات الريب، لأني من شدة كربتي وغيظي قد تكلمت الى الآن، فاجاب عالي وقال: انطلقي بسلام، إله اسرائيل يعطيك حاجتك التي سألت من لدنه، فقالت: لتجد جاريتك نعمة في عينيك،

وانصرفت المرأة في طريقها، واكلت ووجهها لم يتغير "(1صم 1: 13-18)

انتبه الى ما يحدث هنا، تصب حنة ألمها وحزنها على الرب. انها لم تلتمس وتقسم وتتوقف عند هذا الحد، بل بالاحرى يبدو انها تخبر الله بكل مشاكلها، ومن المحتمل انها تخبره بالقانة الذي يمتهن الحب. وربما كانت تشعر برعب كبير لأن حبه ليس كافياً، او بخوفها من الحب الذي قد يذبل لعدم إثماره طفلاً. ربما تخبر الله بتهكم فنة وحزنها الخاص أو لاستيائها ورغبتها في خنقها.

لقد ارادت ان تسمع من قبل الله الذي من المؤكد انه يهتم بها، وهي تريد ان يكون لها طفلاً. ولكن هناك اكثر من ذلك والا لكانت قد جعلت طلبها يتكرر كثيراً. يظهر ان الله هو الشخص الذي اليه تَسكب روحها ونفسها المتألمة. فعندما تترك صلاتها، لم يبقَ لديها سوى صلاة عالي كجواب لذلك. إذ لا ضمان بطفل، ولذا سرعان ما حزنت.

يحدث انه يلقى الضوء على مشاكل الناس، فقط لأنهم أفاضوها أمام الرب، وان مرضهم لا يشفى، وحبهم الوحيد لا يعيدهم الى الحياة، ولكن شيء ما حدث؛ يخفف أعباءَهم، فاذا سألتهم ان يصفوا خبرتهم، ربما يقولون:"اوجزت الله بكل ما شعرت، وبدا انه يستمع بانتباه وعطف، وشعرت انه فهم ما كنت أبغيه، وبطريقة ما شعرت بتحسن ".

يتهم عالي حنة بكونها سكيرة، ويريد ابعادها من مكان الصلاة. ربما في انفسنا اصوات تدخل الى سماع الرب بنفس طريقة الفيض هذه. ربما نشعر انه يجب ان نتألم بسبب خطايانا، وربما نخبر ذواتنا ان هذه الآلام ارسلت الينا كي تجعلنا اكثر اعتماداً على الله، او ان الآخرين يعانون اكثر. وربما نسمع ذواتنا تقول

ان الله يعرف الافضل، وان هذه الاصوات تميل الى ان تحفظنا من جعل الله يعرف كيف هو شعورنا حقاً.

تكمن في هذا الخصوص تعليمية سفر أيوب. لقد فقد أيوب كل شيء:المحاصيل، والبضائع، والماشية، وأخيراً الابناء، وجسمه غطيّ بالقروح الجلدية. وفي محضر اصدقائه الثلاثة؛ يلعن (في صلاته) يوم ولادته إذ يختمها:

"لأنه من سبب خبزي يأتي تنهدي، وتستفيض مثل الماء زفرتي لأن المخافة التي خشيت جاءت عليّ، والذي كنت افزع منه أتاني لم اسكت ولم أهدأ ولم استرح، وقد أتى الغضب " (أي 3: 24-26)

أما اصدقاء أيوب، فبدلاً من ان يريحوه، او يشجعوه، انهم يقتبسون ما في اللاهوت السائد بخصوص الصالح والطالح والالم كي يقنعونه بعدم جدوى التحدث عن ألمه. انهم كالاصوات الداخلية التي تحدثنا عنها، فأيوب واولاده يجب ان يكونوا مذنبين بالخطيئة، لأن البريء لا يعاني هذه الآلام، اذ يقول احدهم:

" طوبى لرجل يؤدبه الله، فلا ترفضن تأديب العزيز * من أجل انه يكسر ويجبر، ويضرب ويده تشفي" (أي5: 17- 18)

وآخر يحاول نصحه كي لا يتكلم مباشرة عن الله بطمأنته ان كل شيء سيسير على ما يرام ثانية لكنه لن يرتاح من كلماتهم، ولا سيقتنع من رغبتهم:

"ولكني اريد ان اتكلم عند العزيز، وان احاكم لدى الله " (13: 3).

" فاعلموني وانا اصمت، وانبئوني باي شيء أطغيت " (أي13: 24).

وعلى الرغم من كل مجادلات اصدقائه، فانه لن يترك رغبته في أسماع الله مباشرة.

كنت اتكلم مرة مع روحاني مشهور، ذكر ان شخصاً كان مرشداً، ويعاني بنفس الوقت من اليبوسة، والظلام في الصلاة، والتي سببت له الالم والكدر، فقال لي انه وضح لذلك الشخص؛ انه من المحتمل ان الخبرة كانت خبرة ليل النفس المظلم، ففلتت مني عبارة:"لكن ذلك لا يعني ان الشخص يشبه ذلك، لذلك لا يمكن له (او لها) ان يخبر الله كيف هي المسافة مزعجة ". وانا اؤمن ان العديد من لاهوتيينا "يفسرون" ألمنا وظلامنا في الصلاة، أشبه "بشروحات" أصدقاء أيوب. انهم لم يدخلوا حقاً في القضية، –وهي واحدة من علاقتنا الحقيقية مع الله–، ويقطعوا الحوار المفتوح مع الله، فالله ليس بحاجة الى ان يدافع عنه أحد من خلال المشاعر، والغضب، والاسئلة المفزعة التي لدينا نحوه ونحو الحياة.

يجهر الشاعر اليسوعي الانكليزي (القرن التاسع عشر) جيرالد مانلي هوبكنز Gerald Manley Hopkins بمشاعره في القصيدة الآتية:

إذا اكتفيت يا رب بان أؤكد؛ فانت الرب حقاً
فما التمسه فقط؛ هو ان اكون معك سيدي
لماذا ينجح الخطاة في طرقهم؟
والخيبة هي كل ما اتوصل اليه في النهاية
أين انت يا عدوي، وانت يا صديقي

كم انت رديء، اتعجب اكثر من تعجبك
التراجع أرعبني؟ آه، السكر ونشوة الشهوة
اعمل في الوقت الضائع اكثر من الجهد الذي قضيته
سيدي، الحياة التي يا للعجب انت سببتها، أنظر الجرف والحطام
الان، دعها رغم كثافتها ! لئلا تعود مرة اخرى
مع رعشة مزعجة، انظر، تهزني ريح طرية
الطيور تبني، لكنني لا ابني، لا، ولكن اتوتر
الزمن عقيم، ولا ينتج أي عمل يوقظ
ارسل يا رب الحياة مطراً الى جذوري

يثابر أيوب في رغبته حقاً، والله يتكلم معه من خارج الزوبعة، فالفصول (38الى 41)تحوي رد الله، لكنه لا يعطي تبريرات لما يحدث لأيوب، بل يخبره مراراً وتكراراً من هو الله السر، والخليقة بدونه ستكون كلا شيء، أما لا للبهجة؛ او للألم.

لقد كتب الكثير عن جواب الله لأيوب، إذ من الواضح انها تطلبت من القراء ردود فعل متعددة، وتتفاوت في التسلسل من القبول الى الرفض الصريح، وعلى اية حال؛ فاذا بقينا بكتاب أيوب نفسه، وخاصة العلاقة بين الله وبينه؛ فاننا نلاحظ شيئين. على الرغم مما يبدو من نغمة غاضبة في النصوص التي يتكلم بها الله في سفر أيوب؛ فانه (أي ايوب) ما زال حيّاً، وبحالة جيدة حتى النهاية، ويبدو انه مقتنع:

" فأجاب أيوب وقال للرب: ان هذه كلها انا اعلم انك قادر ان تصنعها، ولا يعسر عليك شيء من هذا الذي يخفي فكرة بلا معرفة، ولكني بالجهالة تكلمت بأشياء ارفع من عقلي فاسمعني

اذاً فاقول، اسألك فاخبرني بسماع الاذن كنت قد سمعت عنك، والآن عيني قد ابصرتك من أجل هذا اسكت، واقوم نادماً على التراب والرماد "(أي 42: 1–6).

وعلاوة على ذلك؛ يوبخ الله اصدقاء أيوب الثلاثة:

" وحدث انه بعد ما تكلم الرب مع أيوب بهذا الكلام، قال الرب لاليفاز التيماني: قد ثار غضبي عليك وعلى كلا صاحبيك، لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب مثل عبدي أيوب " (أي 42: 7).

"فانطلق اليفاز التيماني، وبلداد الشوحي، وصوفار النعماني، وصنعوا كما قال لهم الرب، ورفع الرب وجه أيوب " (42: 9).

وبكلمات اخرى، ربما نحن نتفاعل من خارج العلاقة، فيبدو ان أيوب والله مقتنعين من تفاعلهم.اذا تذكرنا انه لا توجد علاقة انسانية تنسخ أخرى بالضبط، فاننا نفعل حسناً. فان نمط التفاعل الذي لا فقط يقنع، ولكن يرضي زوجاً واحداً يحتمل ان لا يرضي زوجاً آخر، وحتى عندما يعود طرف من الزوج الثاني الى الاول ايضاً.ان كل واحد منا ربما له علاقة مختلفة جداً مع الله، كي، كمثال أيوب والله كانا راضيين بالعلاقات التي لهما حيث ان تعلق حنة والله كان مختلفاً كثيراً. فكل واحد منا يجب ان يبحث عن النمط الذي يبدو حسن لله ولنا، فبالحقيقة ان رد فعل الله نحو الالم الانساني لم يكن مدركاً دائما كما رسمه كاتب أيوب.يتكلم الله الى موسى من العليقة المحترقة:

" فقال الرب: إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر. وسمعت صراخهم من سبب مستعبديهم. وإني علمت اوجاعهم ونزلت لاخلصهم من ايدي المصريين واصعدهم من تلك الارض الى ارض جيدة واسعة. الى الارض التي تفيض لبناً وعسلاً. الى بلد الكنعانيين والحيثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليابوسيين "(خر 3: 7-8).

ويقول الله للمنفيين من خلال اشعيا:

" عزوا عزوا قومي. يقول الاهكم طيبوا قلب اورشليم. ونادوا انها قد اخذت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها "(أش 40: 1-2).

ويقول مرة أخرى:

" اسمعوني يا بيت يعقوب وكل بقية بيت أسرائيل. المحمولين من البطن. المحمَّلين من الرحم والى الشيخوخة انا هو. والى الشيب انا احمل. أنا فعلت. وانا ارفع. وانا احمل واخلص "(أش 46: 3-4).

نحن نؤمن ان يسوع قد تجسد من الله، وهو القلب الانساني لله. انظر كيف يجاوب:

"فوافاه ابرص وهو يطلب اليه، وركع قدامه قائلاً له:إن شئت، فانت قادر ان تطهرني فتحنن يسوع، ومد يده، ولمسه وقال له: قد شئت، فاطهر " (مر 1: 40-41)

لقد بكى لأجل لعازر، وحزن لحزن اختيه مرتا ومريم (يو 11: 35)،وعندما احس بتزايد الحشد المتجمع حوله؛ اقترب إلى اورشليم:"فلما قرب ونظر الى المدينة، بكى عليها وقال:

" لو علمت انت ابضاً في يومك هذا نفسه ما هو لسلامك، ولكن الآن قد خفي عن عينيك "(لو 19: 41-42).

ونحن في لحظات الالم والهيجان المؤلمة، والاسى الخاصة بنا؛ تأتينا رغبة كبيرة للبكاء،وكأن لو ان الكون نفسه كان يصرخ:"ليس هذا ما نويت !"، وربما نحس بأسى الله الخاص للألم في العالم.ربما ان صدراً نقياً مفعماً بالمشاعر لا يعتبر ختام المسألة، فإن قصة حنة اعطتنا اشارة إلى انها ما اقنعت نفسها بانفجار واحد. ولكن يبدو انها حافظت على سكب مشاكلها على الله.يعطينا الرب يسوع مثالاً آخر يهتز فيه العقل عند ذلك، حيث في جثسيماني:

"ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وبدأ أن يهاب ويحزن وقال لهم: إن نفسي حزينة حتى الموت، فاقيموا هاهنا واسهروا ثم تقدم قليلاً وخرّ على الارض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن كان يستطاع وقال:

" آبا أيها الاب كل شيء مستطاع عندك، فاجز عني هذه الكاس، ولكن ليس ما اريد انا، بل ما تريد انت " (مر 14: 33- 36).

يخبر يسوع أباه في هذه الساعة ما يشعر ويتمنى. فاذا دخلنا هذا المشهد بشكل تأملي، فاننا غالباً ما نغمر بالخوف والالم، ذلك الذي اختبره يسوع في ظلام كبير بحيث اراد التخلص منه كما كان، ومن لحظة الضعف الكلي تقريباً، ومرة واحدة لم تكن كافية، فانه يرجع ويكرر نفس الكلمات مرتين آخريين، وبطريقة من ينال القوة كي يستمر.

تزودنا كلمات كارل راهنر في نهاية تأمله بالمعاناة التي حصلت في البستان، وذلك ضمن كتابه (التمارين الروحية) بتركيز وخاتمة لهذا الفصل فيقول:

ليس من واجبنا ان نعمل كثيراً ولا ان نعمل اكثر مما عمل يسوع في الليلة التي سبقت موته عندما كان في جثسيماني، ولكن ان كنا قادرين على انجاز ذلك مراراً – ونستطيع فعل ذلك فقط بالنعمة، فلقد إنسحق لأجلنا في بستان الزيتون – لذا نستطيع عمل كل شيء، ويجب ان نسأل عن هذه النعمة مراراً وتكراراً

الفصل السادس

فيض قلب الشخص

"وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: أيلي أيلي لما شبقتاني، الذي تأويله الاهي الاهي لماذا تركتني " (مر 15: 34)

ان صراخ يسوع من على الصليب حوَّل دم المسيحيين البارد كلما استمعوا حقاً الى هذا المقطع الى دم حار. إذاً يمكن ان يشعر يسوع بالفاجعة وبشكل يائس جداً، فأي رجاء عندنا كي نرتاح لحظة احتضارنا؟. لكنه يقتبس المزمور 22. وحيث سيقول البعض: ان ذلك المزمور ينتهي بمدح الله. إذ في وسط ألمه يجرب يسوع حضور راحة الله.

ان مثل هذا التفكير لا يدفيء الدم البارد المرتجف اثناء صراخه العالي "الهي، الهي، لماذا تركتني؟". وان مرقس شديد في تصوير مشهد الموت، إذ انه لا يعطينا الاستعداد للراحة التي نبحث عنها عبر الرجاء بأن يسوع قد أغيث من قبل أبيه.لكن الاشارة الى مزمور 22 لا تدعونا الى تلك الصلاة، وربما تفتح لنا طريقاً آخر كي ننمو مقتربين نحو الله، وهو موضوع كتابنا هذا.

لاحظنا في الفصل الاخير، ان حنة أفاضت نفسها الى الله في انزعاجها من مشكلتها. إذ كان يمكن ان تتقوى بايمانها ورجائها بالله، لكنها كانت لا تزال قلقة جداً، وحتى اذا كان يسوع يصلي مزمور 22 جهورياً، وهو يعطي بالحقيقة صوتاً مؤلماً، إذ تكفي حقاً معاناة منظم المزامير:إلهي إلهي، لماذا هجرتني؟

بعيداً عن صلاتي، وعن كلماتي أصرخ. فالصراخ ليس فقط بسبب المعاناة، لكن لأنه جعل الاسوأ من خلال إظهار غياب الله، بصمت الله.

هناك اوقات في حياة كل شخص عندما تبدو الصلاة وكأنها تقفز من بعيد على حائط لا يخترق، فنحن نصرخ طالبين بعض كلمات الراحة، وبعض الملمس الدافيء، ولا شيء يحدث. فمشاكلنا ليست مؤلمة فقط، ولكن اليأس يترصد عند الباب، لأن عالمنا لا نشعر به انّه"عالم عائلي "، ولكن بالاحرى انّه مكان قاس، وواسع، وبارد.

يبدو منظم المزامير انه يشرح مثل هذه الخبرة، ففي لحظة الصلب كان من الممكن ليسوع ان يشعر بذلك ايضاً لكن منظم المزامير لا يتوقف عن الصلاة، انه يستمر في افاضة قلبه نحو الخارج

" أدعوك الهي كل يوم، لكنك لا تجيبني ابداً، ادعو طوال الليل، ولا يمكن ان أرتاح " ثم يذكر الله باحساناته الماضية.

"وانت القدوس الساكن مدحة لاسرائيل

عليك اتكل اباؤنا، اتكلوا فنجيتهم

اليك صرخوا فخلصوا، عليك اتكلوا فلم يخزوا "

يتذكر منظم المزامير تاريخ خلاص شعبه، وهذا يعطيه قوة كي يستمر في الصلاة. ونحن ايضاً يمكن ان نتذكر تاريخ خلاصنا الخاص. نذكر الله وما وعده يسوع، وما فعله الله لنا شخصياً. يُذّكر القديس اغناطيوس الشعب في الخراب؛ ان يتذكروا التعازي السابقة، ويثقوا ان الله سيحضر للمرة الثانية.

يفصِّل المزمر ما يحدث له ايضاً، حتى من خلال ما يبدو أنه غياب الله

"وأنا دودة ولست انساناً، عار للبشر ورذالة في الشعب. كل الذين ابصروني استهزأوا بي، فغروا شفاههم وهزوا رؤوسهم. قد اتكل على الرب فلينقذه، ويخلصه اذا اراده "

ونحن ايضاً يمكن ان نعبر عن كل ما يزعجنا، وبالتفصيل، حتى ولو يبدو ان الله لا يسمع، فنحن نضع ثقتنا، ونفيض قلوبنا فيه:

"لأنك انت اجتذبتني من البطن، وجعلتني مطمئناً اذ كنت على ثديي أمي

عليك القيت من الرحم، ومن بطن أمي انت الهي

لا تتباعد عني فان الشدة قد اقتربت، وليس من معين "

يبدو وكأن المزمر يتكلم بفكرة واحدة تفصيلية، وبعد ذلك ينتظر الرد، تطرقه خلال الصمت فكرة اخرى فيجهر بذلك في بعض التفصيل، وينتظر مرة اخرى.

من الممكن ان تعاقب الافكار هو بحد ذاته رد الله، ينتزع بذلك الحضور الصامت، واحياناً سيقول الناس الذين يصلون هكذا، انه ولو ان الله كان صامتاً، فانه يبدو يستمع متيّقظاً. ويذهب المزمر اعمق في وصف بؤسه

"أحاطت بي عجول كثيرة، وثيران باشان اكتنفتني

فتحوا عليّ افواههم، مثل الاسد اذا زأر ليفترس

كالماء انسكبت، وتفككت كل عظامي،صار قلبي
كالشمع، وذاب في وسط حشاي
يبست مثل الفخار قوتي، ولصق لساني بحنكي، والى
تراب الموت اوردتني
لأنه احاطت بي الكلاب، جماعة الاشرار اكتنفتني،
ثقبوا يدي ورجلي
فأحصي كل عظامي، وهم تفرسوا وابصروني
اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي اقترعوا

ربما ان صمت الله يتيح لنا المجال ان نوضح كل المنا وأوجاعنا، وعادة ما يكفي ذلك التوضيح لأصدقائنا الاقرب فقط، إذ لا نستطيع قول كل ما في قلوبنا القلقة لكل الاصدقاء لأنهم لا يمكن ان يستقبلوا الالم ويبادلوه بكلمات مريحة.

ينفجر المزمر مرة ثانية بعد الصمت الذي يلي ذلك، ويتحول الى الله ملتمساً المساعدة:

" وانت يارب لا تبعد، يا قوتي أسرع الى نصرتي
نج من الحربة نفسي، ومن يد الكلب وحيدتي
خلصني من فم الاسد، ومن قرون الأرام استجب لي"

يحصل لدى الشخص الانطباع ان الله يظهر اقرب مما كان في بداية الصلاة، إذ هي رقيقة اكثر، واقل شدة وبأساً وغالباً ما يكون الناس مستمرين في فيض قلوبهم الى الله، حتى – على سبيل المثال – عندما يبدون بعيدين عنه في

المزاج، فاذا سألتَ عن الانعكاس الذي حدث، فانهم يقولون انه بعد كل صمت الله؛ يبدو أنه اقرب، وانه يسمع ويهتم. اعتقد ان الكثيرين يفشلون في ايجاد مثل هذه الراحة النامية حتى إن كانوا خائفين من أن يفيضوا الى الخارج مشاعرهم وحتى استيائهم من طريقة الله التي يبدو انه يعاملهم بها. والنبي أرميا ليس ماكراً على هذا النحو:

" لم أجلس في مجمع المازحين مفتخراً. من اجل يدك كنت اجلس وحدى. لأنك ملأتني غضباً * لماذا صار وجعي ابدياً. وجرحي مقنطاً يابى الشفاء. صرت لي مثل كاذب. مثل المياه غير الامينة " (أر 15: 17-18).

وقد شعر بالمواساة اكثر، فعند هذه النقطة يأخذ المزمور فجأة تحولاً نحو المدح الذي أشرنا اليه في البداية:

سأخبر باسمك إخوتي. وفي وسط الجماعة اسبحك
يا اتقياء الرب سبحوه. ومجدوه يا معشر ذرية يعقوب
وأخشوه يا كل نسل اسرائيل لأنه لم يحتقر ولم يكره استغاثة المسكين. ولم يعرض بوجهه عنه. وعند صراخه اليه استجاب له

ان الالم قد سُمِع وحصل شعور بالراحة بالله الذي يبدو في البداية بعيداً جداً، وان هذه الخبرة غالباً ما تتكرر من خلال الاشخاص الذين واظبوا على فيض قلوبهم نحو الله.نستطيع الوثوق بيسوع كونه اختبر القرب من ألأبا ايضاً:

" وصاح يسوع بصوت عظيم. وقال: يا ابت. في يديك استودع روحي. ولما قال هذا. اسلم الروح "(لو 23: 46)

ان النمط الذي وُضِع به يمكن ان يرى في مزامير اخرى (على سبيل المثال المزمور السادس والثاني عشر والثالث عشر)، وفي مشاهد اخرى من التوراة نتذكر ان حنة أفاضت نفسها نحو الله، وعندما خرجت سرعان ما فارقها الحزن.

استطيع تشجيع الناس الذين يشعرون بثقل احزان الحياة ان يحاولوا معرفة انه مهما امتلكوا منها فذلك غالباً ما يكون لهم طريقاً مريحاً للصلاة.

الفصل السابع

مشاعر الغضب والثأر

ألم تشعر ابداً بالغضب الى درجة كبيرة عندما تريد ان تؤذي الاخرين الى درجة العوق او القتل حقاً؟. يمكن ان تكون مظلوماً او مصاباً شخصياً بسبب الآخر، وربما تشعر بالغضب عندما تقرأ في صحيفة عن هجوم وحشي على أمرأة مسنة ضعيفة، او رأيت صور جثث تكومت بسبب الحروب.

ان سرعة الغضب ربما تصل الى حنجرتك كلما تتذكر بعض هذه الازمان للحظات، بحيث تكون حقوداً جداً. وان حاول أي شخص ان يطلب منا الغفران، فاننا نشعر حالاً بالغضب. إذ من المحتمل اننا لا نفكر بالصلاة آنياً في انه ربما نتحول الى الله كي نسأله قلباً مسامحاً بعد هدوئنا.ولكن في حرارة اللحظة ستكون الصلاة مستحيلة.

يحتمل ان ما نجد الايمان به صعباً، هو ما يمكن بالحقيقة ان نخبر الله به، وهو:كم نحن جسديون، ولا نريد ان نخدم المعاقين. لذا فان هذا الفصل سيرفع تلك الامكانية كطريق آخر يطور ألفتنا مع الله.

ألاحظ اني أميل الى تجاوز أجزاء من المزامير، لأنه يبدو انها سفاكة الدماء، فكمثال، عندما أسأل الناس الصلاة الجماعية للمزمور **139**(**138**)، فاني غالباً ما اطلب منهم التوقف عند نهاية الآية **18**. لنقرأ هذه الآيات:

لو قتلت الخطاة يا الله. فيا رجال الدماء أبعدوا عني
الذين يذكرونك بالمكر.ويأخذون مدائنك بالباطل

ألا. أني لمبغضيك يا رب أبغضت.وللقائمين عليك قليت بغضاً تاماً ابغضتهم. وصاروا لي أعداء

ألاحظ ان الاخرين ايضاً يتجنبون هذه الاسطر عندما يصلّون المزامير جماهيرياً، لأننا نحرج بالكلمات، ولا نريد ان نضعها في افواهنا. لازلت حتى الان اشعر بالحقد احياناً، وقد حاولت ان اتخذ موقف يسوع السلمي، لكني اعرف اني في بعض الاوقات أشعر بغضب قاتل، فانا ضد القتل،وكمثال؛لازال الشعور بالاختناق يتصاعد فيّ كلّما أسمع عن الاغتصاب السادي، والتعذيب، فانادي بحقد بمعاقبة المجرمين. حيث الانتقام هو الطريقة التي أشعر بها، فأحس بالاحراج عندما اعترف بمثل هذه المشاعر، لكنها حقيقية، وفي اللحظات التي أشعر بهذه الطريقة عندما اريد الصلاة، فاني اشعر انها ستكون كلمات تشبه تلك التي اقتبستها من المزمور 139.أخشى ان لا أكون المسيحي الوحيد الذي يعتبر هذا حقيقة، وأريد ان ادعو الى أنعكاس هذه الحقيقة.

افترض انك كنت ولا تزال تهان من قبل شخص في العمل، وأنت لا تزال تغلي عندما تقابل صديقك المفضل، فماذا ستعمل؟ هل ستتحدث عن الطقس؟ أم عن آخر نكتة؟ أم عن الرياضة؟. فان لم تقل شيئاً بخصوص غضبك واستيائك؛ فان محادثتك ستكون مملة، ومضجرة، أليس كذلك؟. ومع ذلك، فان الشيء الوحيد في عقلك وقلبك هو ما حدث لك في العمل، فلماذا لا تتحدث عن الحادثة الى صديقك؟. من المحتمل انك خائف من كونك ستفقد السيطرة، وستضج وتهتاج، وتجعل من نفسك غبياً، او ربما تخاف من صديقك الذي يريد (أو تريد) مساعدتك للانتقام، او ربما أنك لا تريد ان تسمم موقف صديقك نحو الذي أهانك. ومهما كان السبب، فاذا كنت لا تكشف نفسك في هذا الوقت،

فانك تحمل خلفك شيئاً يخص العلاقة، وبما ان صديقك يجب ان يكون غير حساس، وبالاحرى لا يلاحظ معك ان ذلك هو شيء خطأ فان تكتمك ربما يرسل ظلاً على العلاقة، وعلى الاقل للحظة.

اعتقد ان نفس التفكير يمكن ان يستخدم في علاقتنا مع الله، فاذا امتنعنا اخبار الله في الصلاة كم نحن غاضبون رغم علاقة التعاون بيننا، فانه لن يكون هناك شيءُ ذو أهمية لنقوله، وربما لأننا ضجرون في الصلاة، فإننا لا نريد قول ما في قلوبنا حقاً. ولكن كيف يمكن ان نخبر الله اننا نريد قتل عامل المشاركة بيننا، او خنق قريننا؟ أليس ذلك خطيئة؟.

أتذكر قطعة جميلة لـ أنا – ماريا ريزوتو Ana –Maria Rizzutoبعنوان (ولادة الأله الحي Birth of the Living God) حيث تقول عن مختبر التحليلات:

" في الحقيقة، يعرض للمريض الفرصة ليستعمل مبرراته اللعوبة كي يعرض الرغبات المألوفة والتي لا يمكن وصفها باتجاه أناس يجب ان لا يعرف شيئاً عنهم ... اذا لم نستطع تقبيل أولئك الذين يجب ان لا نقبلهم، واذا لم نستطع كره أولئك الذين يجب ان لا نكرههم ...، واذا لم نستطع قتل أولئك الذين يجب ان يظلوا أحياء ...فالحياة ستكون بائسة حقاً.يمكن ان نتسلى بكل هذه التخيلات، وكأنها مسرحية..."

عندما قرأت النص؛ اعتقدت فوراً انها تطرق غرفة صلاة الشخص، إذ يمكن للشخص ان يقول لله أشياء ربما لا يقولها الى أي شخص، وعلى الاقل يمكن ان نصرح ان كُتّاب المزامير لم يكونوا خائفين من قول بعض الامور المخيفة الى الله.

يحتمل ان يكون الحوار المؤدي الى الصداقة مفيداً اذا استطعت ان اخبر صديقي كم انا غاضب مع شريكي في العمل، فانا على الاقل سأتنفس الصعداء وذلك قد ينقذني من القرحة او ضغط الدم العالي، اذا كان صديقاً جيداً، ماذا سيحدث؟ سأستمع اليه عاطفياً، وربما يشعر صديقي بالغضب على شريك العمل، لكن من المحتمل ليس بنفس قوة التدمير التي املكها.

أخبر مؤخراً رولين فيربانكس Rollin Fairbanksعن قصة في صف ارشاد راعوي، حيث كان يرشد امرأة غاضبة بشدة على المعالجة السيئة التي أتتها من زوجها وعمتها. كما أظهرت غضبها، ونما تهيجها وتقوى، فاستمعت الى رولين بعاطفة، لكنها اعترفت أنها تعصبت قليلاً عندما تحدثت عن قتل عمتها. فقال رولين إنها اذا قتلتها فيجب ان تذهب الى الجنازة. لقد صرخت "أنا لن أذهب ! لا أريد " وعندها ادركت ما قالت، صرخ رولين بهزل وقال:"ماذا سأعمل "، وبكلمات أخرى، تمكنت في هذا الجو الامين لا فقط من ان تنفّس عن مشاعرها، ولكن ان تصبح مدركة لحجم اليأس الذي شعرت به. وبعد ذلك كانت قادرة على طلب المساعدة، وقبل هذا كانت تشعر بالاسف على نفسها فقط، ولم تكن قادرة على ان تتساءل ما يجب ان تفعل كي تغير حالتها، فقد رأت مرة ان حالتها الحاضرة تقودها الى أفكار قاتلة، وعرفت انه كان يجب ان تفعل شيئاً ما.

لقد صلى شعب العهد القديم والمسيحيون المزامير. ربما ليس لدينا إشارة الى حقيقة ان تعبير الغضب الشخصي يمكن ان يكون صلاة مقبولة، وحتى تمرين للألفة، فالمزمور **139** واحد من أسهل المزامير المقبولة من قبل المزمر، ومع ذلك هو تعبير فقط عن الكراهية لأعداء الله، هناك صعوبة اخرى اكبر الى

حد بعيد، ففي المزمور 18 على سبيل المثال ملك محارب يغتبط في الصلاة بعد مجزرته التي عاقب أعداءه بمساعدة الله:

" علم يدي القتال. فتحنى بذراعي قوس من نحاس
واعطيتني ترس خلاصك. ويمينك عضدتني. وأدبك رباني
اوسعت خطاي تحتي. وعقباي لم تزلقا
الحق اعدائي فادركهم. ولا ارجع حتى افنيهم
اضربهم فلا يستطيعون القيام. يسقطون تحت رجلي "
(مز 17(18): 35 –39)

ان هذا الرجل يقول لله ما يشعر بالضبط، سواء قاده تدريجياً واكثر الى طرق سالمة. نحن لا نعلم ان مثل هذا الشعور قد حدث في التاريخ.

يخبرنا القديس اغناطيوس في سيرته الذاتية انه في بداية تحوله نحو حياته الروحية الجديدة لن يتمكن من تهيئة فكره للصلاة إذا ذهب خلف (البربري)، الذي بدا انه سيلوث اسم سيدتنا، ويقتله. لقد صلى كثيراً من اجل الاختيار، لكنه لم يتمكن من الوصول الى نتيجة. لذا ترك لبغله الاختيار بتحريره زمامه، ولحسن حظ (البربري) وربما القديس اغناطيوس ايضاً؛ فان البغل لم يأخذ الطريق الذي سار فيه (البربري).لقد علّم الله اغناطيوس تدريجياً كيف يميز، فتخلى اغناطيوس عن سيفه الى الابد.

وعلى نفس الوتيرة من الصعب علينا إنهاء انشودة الرثاء الحزينة في المزمور 137(136)

"على انهار بابل هناك جلسنا. فبكينا عندما تذكرنا صهيون
على الصفصاف في وسطها علقنا اعوادنا
لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام الشدو. والمنغصون علينا
سألونا تطريباً قائلين:غنونا من أغاني صهيون
كيف نغني أغنية الرب في ارض غريبة
ان أنا نسيتك يا اورشليم. نسيت يميني
ليلتصق لساني بحنكي ان لم أذكرك. ان لم افضل اورشليم
على افضل فرحي
أذكر يا رب لبني آدوم يوم اورشليم القائلين: هدوا هدوا حتى
اساسها..."

نجد صعوبة في قراءة الكلمات الاخيرة، إذ اننا نريد مسحها من كتاب الرب، ليفسر بعيداً كتعابير الناس الاوائل الذين لم يتعلموا حسناً، ولكن يجب ان ننظر بصورة افضل الى قلوبنا ونميز بعض الغضب والثأر بانه ليس بعيداً عنا، فدعونا نرجو ونصلي لأننا نجرح بنعمة الله وليس فقط لأننا نخاف النظر او السماع أو الاذى

المسألة هي اننا نتخلص من مشاعرنا فقط بنعمة الله، ولا نستطيع طرد مشاعر الغضب أوالثأر أو الشهوة، نستطيع محاولة السيطرة على تعبيراتها في السلوك طبعاً، لكن ان نغير المشاعر نفسها؛ فاننا نحتاج الى نعمة الله، وبالتأكيد فان الطريق الى كسب بعض النعمة هو بفيض مشاعرنا الى الله بكل عفويتها وبداهتها. وكما نفعل، يجب ان نبدأ بالتحسس الجدي للغضب مثل رولن فيربانكس، ونستطيع عندها قول " ساعدني لأرى ماذا أعمل في هذه الحالة التي سببت لي هذا الشعور

الفصل الثامن

في كشف الخطيئة

"جربني يا الله واعرف قلبي. أبلني واعرف خواطري
وانظر ان كان في طريق الاثم. واهدني الى الطريق الابدي "
(مز 138(139): 23– 24)

لاحظنا في الفصل الاخير ميلنا الى تخطيط المشاعر الحقودة في الايات 19 الى 22 من المزمور 138(139).وعندما نقرأ هاتين الآيتين الاخيرتين من المزمور، ربما نشعر بلوعةٍ داخلية مشابهة،فنسأل الله الحي كي يبحث عني، ويعرف قلبي، ويريني، طريقي الشرير – يجب على المزمر ان يكون منكتاً، ويخبر بالحقيقة. لا نقول هذه الكلمات ونعنيها إذا ما كنّا مؤمنين بعمق حقاً ان الله هو من جانبنا. فمن الذي سيسأل إلهاً متطفلاً، وحاقداً كي يسبر قلبه (أو قلبها)؟ لا يتجاسر بذلك سوى الباحث عن الالم (أي الماسوشتي)فقط.

لا زالت هذه الآيات تكشف عن حقيقة لاهوتية عميقة، وبمعنى آخر اننا لا نستطيع معرفة كوننا خطاة بدون عون وكشف الله. فهو الذي يرينا خطايانا، ولا نستطيع كشفها لأنفسنا.في هذا الفصل أريد ان اسبر طرق جعل الله يساعدنا كي نتعرف على طرقنا الشريرة.

قبل عدة سنوات قابلت أمرأة لم تستطع فتح الكتاب المقدس بدون أن تختبر الادانة، وهنا لا يوجد مشكلة اذا نظرت الى الكتاب المقدس فبدا لك الله

غاضباً، ويلوم، ويهدد بالعقاب، لذا فقد توقفت عن القراءة بما انها كان يجب ان تتخطى رؤية الأعمال العظيمة في الكتاب المقدس والتي تصور الله مسامحاً، ومهتماً، وعطوفاً. لقد افترضت ان صورتها عن الله منعتها من ملاحظة أجزاء من الكتاب المقدس، واستنتجت انها بحاجة الى خبرة مختلفة عن الله كي تغير صورتها عنه.

ناقشنا في الفصلين الاولين طرق الحصول على خبرة اساسية بكوننا مقبولين بواسطة الله، والشعور ان الانسان هو "تفاحة عينه"(سيبستيان مور Sebastian Moore).

في مصطلحات التمارين الروحية الاغناطية؛ نتحدث عن "مبدأ مؤشر هو أول وأساس " كخبرة الهوية للشخص، وكمن يرغب في الوجود بواسطة الله. فقبل ان يكون لنا بعض الخبرة الاساسية، فان الله يبدو مفزعاً، وبعيداً، ومتطفلاً. والناس غالباً ما يصبحون شكاكين، ويحاولون ان يسترضوه. انهم بحاجة الى المساعدة كي تكون لهم خبرة مختلفة عن الله، لن تجعلهم العظات، او الطروحات اللاهوتية يشعرون بحال سيء اكثر.وهذه الحقيقة كانت مهمة الفصلين الاولين.

نعتقد اننا نؤمن ونختبر حقاً ان الله كوّن وشّكلَ كياننا العميق، وكوننا في وقت واحد في رحم أمهاتنا، ونستطيع ان نمدحه في قلوبنا (مز 139: 13-14)، وعندها نستطيع ان نسأله كي يكشف لنا طرقنا الشريرة، عندها سنعرف تجريبياً ان له هذا الصلاح الذي في القلب.

لا زلنا نعمل هذه الصلاة لأجل الكشف عن كوننا خطاة بالخوف والهلع، مثلما نرتعد عندما نطلب من صديقنا الافضل كي يخبرنا بصدق عن عيوبنا

طبعاً.نشعر اننا لسنا ذاهبين الى محبة ما نرى، وبكل حق، لأن الخطيئة هي بالضبط تعمية عيوبنا الحقيقية، ومن هنا عندما نسأل شخصاً نحبه كي يكشف لنا عن عيوبنا، نفتح انفسنا الى نظرة جديدة اليها. فعندما جاءت المرأة التي ذكرتها سابقاً وهي واثقة من طيبة الله بسبب خبرتها، فهي ربما ادركت ان كونها خاطئة هو بالضبط لفقر صورتها الذاتية، وصورتها عن الله (كمصاص دماء) ومستبد، لا في كونها اتهمت نفسها بـ(الخطايا).

حقاً انه كشف حاجتنا وتساؤلنا عندما نتحدث عن أو نغني الكلمات الاخيرة من المزمور **139**. ومن هنا فان هذه الكلمات تستند على الثقة بطيبة ونبل الله، لذا فان هذه الثقة افترضت كيفية لتعاملنا مع كشف الله لنا لطبيعتنا الخاطئة. أولاً يجب ان نريده يفعل ذلك، فافترض ان مثل هذه الرغبة تتحقق عندما نعي مسبقاً ان شيئاً ما أعوج سنعرفه في علاقتنا معه او مع الآخرين، ونصبح واعين بالمسافة بيننا وبينه، ونتعجب اذا كنا سببنا ذلك.

ان لعب دور كمن له علاقة عمل أو صلاة سيحدث بعض الوعي. أمرأة وصفت بعض الدفء الحقيقي، وخبرة قريبة من الله والذي كان لها قبل اسبوعين، ولكن سلمت الى فترات من اليبوسة العظيمة. وبينما ننظر باعتناء الى خبرتها، فانها اصبحت واعية لكونها كانت خائفة مثلما جُذبت من خلال قرب الله وجذبه لها. والان لها دافع كي تسأل الله ليكشف ما جعلها خائفة من الالفة معه. وفي هذه الحالة استطاعت استذكار الوقت الاخير عندما شعرت انها قريبة منه وسألته كي يساعدها لترى ما الذي جعلها خائفة في صلاتها، حيث ستبدأ بانعاش هذه اللحظات القريبة وربما ستشعر ان الخوف ينمو مرة ثانية. ولكن الان ينذر بملاحظة ما جلب الانتباه اليها، فقد اصبح الناس واعين لعدة مصادر للمسافة مع الله والتي بدت فجأة قريبة جداً. فانهم يستذكرون الخطايا القديمة، ويتساءلون

فيما اذا غفرها الله. انهم ربما يخفون حتى عن انفسهم حقيقة تجعلهم يخجلون أمام الله. وعلى سبيل المثال؛ فان العديد من الاشخاص القلقين بخصوص هويتهم الجنسية، يشعرون بالخجل، ولا يريدون ان يتذكروا الموضوع. وهكذا عندما يقرأون الانجيل، فانهم يصلون الى نص يعلو اندهاشهم، فاذا قرأت امرأة على سبيل المثال:

" فاذا انت قدمت قربانك على المذبح.
وذكرت هناك ان اخاك له عليك شيء
فدع قربانك هناك قدام المذبح.
وامض اولا وصالح اخاك.
حينئذ فأت وقدم قربانك"(متى 5: 23-24)

فانها فجأة تذّكر اخاك بشيء فعله لها قبل سنوات، وهي لم تغفر له ابداً، وتجد الاشمئزاز يرتفع فيها مرة أخرى. او اذا رجل سمع هذا النص الذي يقرأ في قداس الاحد:

"ان اقرضت فضة لشعبي المسكين الساكن معك، فلا تلج عليه كالمستوفي. ولا تظلمه بالربا "(خر 22: 25)

فانه يجد نفسه مفكراً بمستأجري عقاراته وسط المدينة والذين يسددون ايجارات عالية لبيوت تحت المستوى المطلوب

في هذه وعدد آخر من طرق ربما يكشف الله خطيئتنا لنا. فنحن نخبر بامكانية ملاحظة شعورنا اننا قد فقدنا القرب من الله مرة اخرى.

ان المثل الاخير يذكرنا بقصة زكا (لو 19: 1–10) جامع الضريبة،او الرجل الغني والذي يحس فجأة بخطئِهِ الكبير، فقد نال فضوله ما هو الاحسن له، إذ تسلق شجرة التين ليرى من هو يسوع، الذي دعاه الى النزول من الشجرة

"يا زكا. أسرع وانزل. فاليوم ينبغي لي أن أكون في بيتك ".

لقد استنار زكا لأنه سيستقبل يسوع في بيته، اما المتفرجون فانهم دمدموا لأن يسوع ذهب ليأكل مع الخاطىء. لكن شيء حدث لزكا وذلك لكونه في حضور يسوع فقط. يبدو انه بدون كلمة توبيخ من يسوع، يقف ويقول:

"ها انا يا رب اعطي المساكين نصف مالي. ومن اكن قد غبنته شيئاً. أعطه عوض الواحد أربعة أضعاف ".

ان هذا تم فقط لكونه في حضور الله أو يسوع، ويمكن ان يذكرنا بحاجتنا الى القداسة والاهتداء، لذلك اذا حاولنا البقاء قريبين من الله، أو إذا قرأنا أو سمعنا الكتاب المقدس بيقظة، فإننا ربما نجد انفسنا عفويين نعكس فشلنا في التعامل مع الآخرين قياساً الى تعامل الله معنا. لذا فان كلمات الابانا ستأخذ معنى جديداً: أغفر لنا خطايانا، كما نحن نغفر لمن أخطأ الينا.

هناك طريقة اخرى نسأل فيها الرب كي يكشف لنا خطايانا، إذ نقترح من خلال القراءة التأملية لشفاء الأعمى برطيماوس (مر 10: 46– 52)، فنحن ايضاً مثل برطيماوس نشعر غالباً بالفقر، والعمى، وبالحاجة، ومثله نستطيع الصراخ

"يسوع، أبن داود، ارحمني!"

والمتفرجون يوبخون برطيماوس طالبين منه الصمت، ونحن ربما نسمع اصواتاً داخلية تطلب منا الصمت:"يسوع ليس له وقت لأمثالي."أو "يجب ان اكون قادراً لأعرف خطاياي الخاصة؛ بعدما اعرف الوصايا." أو " من السخافة ان افكر ان يسوع سيتكلم معي، انه كله خيال." لكن برطيماوس لم ينتبه الى التوبيخات، فصاح عالياً:

" أبن داود أرحمني !"، فدعاه يسوع، إذ القى برطيماوس جبته وقفز وجاء الى يسوع، فقال له الرب:
" ماذا تريد مني ان افعل لك؟".

تخيل ماذا يدور في داخل الاعمى عندما يسمع هذه الكلمات. انه سيمتليء بالبهجة، واللهفة، ولكن هل كان له شكوك أو خوف؟ هل تساءل فيما اذا تصاعد رجاءُه فقط كي يسقط فيتحطم عندما يقول يسوع انه لا يستطيع مساعدته؟. وبينما هو يفكر في طلب ان يرى، هل كان يخاف من التغييرات التي ستحصل في حياته اذا حصل على التماسه؟. وبعد كل ذلك؛ فان العون الوحيد الذي يعرفه هو الاستجداء، والطريق الوحيد الذي يعرفه للمحاكاة مع العالم هو كرجل اعمى. لذلك بينما نسمع نحن ايضاً كلمات يسوع المؤَّجهه الينا، ربما نرتعد مرتعشين ونرجو ونحن مهتزين بسبب الخوف، فماذا نرى عندما يفتح يسوع عيوننا لنرى شَّرنا، ونحن نعلم ماذا سيجاوب برطيماوس:" ربي، اريد ان ارى.". انه فعل ثقة عظيم، كي يقول بجسارة انه يريد تغيير كل حياته. ويقول يسوع له: " أذهب، ايمانك شفاك." ان الصورة الاولى التي رآها برطيماوس كانت وجه يسوع وهو ينظر اليه بمحبة، انا اؤمن واعترف.

تلك كانت على الاقل الطريقة الوحيدة لقراءة كلمات يسوع حول ايمان برطيماوس، اذ ان خبرة القرون منذ أيام يسوع تخبرنا ان اولئك الذين سألوا يسوع كي يشفي عماهم يستطيعون ان يروا خطاياهم وينـدموا عبر النظر الى عيون الحبيب، لا العدو.

يشرح الروائي جي. آر. أر. تولكين (J.R.R.Tolkien)في (زمالة الخاتم) لقاء العيون التي تؤسر النظرة التي تودُها. جاء دورف (قزم) وجملي معاً في استراحة الى أرض لوثلورين؛ وهي مملكة (جن). فالاقزام والجنيات صاروا اعداء تقليديين،ويظن انه أجبر على هذا اللقاء. فتكلمت كالادريل ملكة الجان بلغة الاقزام وقالت:.

لقد نظرت الى جملي، الذي جلس محدقاً حزيناً، فابتسمت، والقزم يسمع ألاسماء التي اعطيت بلسانه القديم الخاص، فنظر الى فوق والتقى بعيونها، فبدت له وكأنه نظر فجأة ألى قلب خصم، ورأى محبتهم وفهم. فبدى الاعجاب على وجهه، وبعد ذلك ابتسم بالجواب (ص 461)

لقد نظر العديد من المسيحيين في عيون يسوع، وحيث توقعوا رؤية الادانة، رأوا المحبة.

الفصل التاسع

غفران الخطيئة

نسأل الله شيئاً واحداً، وهو ان يكشف لنا خطايانا، وان نسأله الغفران. ان فعل كشف الخطايا ذاته، ربما يُختبر كغفران، ولكن غالباً ما يكون كافياً ان ما نحتاجه هو ان نسأله كي يتوضح لنا غفرانها. وفي هذا الفصل سننظر الى طرق التحول الى الرب كمثل طريقة الغفران.

أولاً، نحتاج الى ملاحظة مستلزمات الغفران. فإذا أذينا صديقاً، فهل سنرضى اذا انتقم منا؟ فإذا لم ينتقم، فانه يظهر شفقة عظيمة نحونا. لكننا نريد المزيد، أليس كذلك؟. اننا نبغي اعادة الصداقة، ونريد العودة الى الالفة،ونعد صديقنا اننا لن نؤذيه (أو نؤذيها) بذلك الطريق مرة أخرى لأننا نريد منه الوثوق بنا مرة أخرى. وبمعنى آخر نسأل صديقنا المتأذي كي يحسب حساباً لنا، أي كي يرجعنا الى حالة الاقتراب نفسها، عندما اصبح من الممكن لنا أذيته (أذيتها). ففي الحالة الاولى. علينا ان نكون متحفزين حتى في علاقتنا مع الله ايضاً وذلك عبر الخوف من العقوبة، الخوف من جهنم، كي عندها نتحفز برغبة للرجوع قرباً اليه عبر المحبة.

نقول مرة أخرى؛ ان قصة تعامل الله مع بني اسرائيل في الصحراء، وبالرغم من الدم الكثير الذي سفك فيه، فانها ربما تكون تعليماً لنا. ففي الفصل 24 من سفر الخروج، يدعو الله موسى الى الجبل ليسمع ويستلم القانون

والوصايا، ومن هذا الفصل وحتى الفصل 31 يصغي موسى الى وصايا الله، واثناء ذلك يقلق الناس، فيطلبون من هارون ان يصنع لهم آلهة من ذهب. وعندما يرجع موسى مع لوحي الوصايا، ويجد الناس يمرحون ويمجدون العجل الذهبي، فانه يدعو الى جانبه أولئك الذين سيثبتون مع يهوه، ويأمرهم ان يقتلوا كل الذين يعبدون إلهاً كاذباً.فيموت ثلاثة آلاف. وفي الفصل 33 يقول يهوه لموسى:

"أترك انت والناس الذين جلبتهم من مصر هذا المكان واذهب الى الارض التي أنا وعدت بها (خر 33: 1–3)

لاحظ ان الناس لا يحرمون من الارض الموعودة، ولكن الله لن يذهب معهم:

" فلما سمع الشعب هذا القول الردي.بكوا. فلم يتخذ احد منهم زينته عليه "(آية 4)

فيبدو انهم يريدون اعادة الالفة مع الله، وعندما يلين الله، وبعد ان يذهب معهم، ستكون لديهم الفرصة كي يخونوا الله مرة أخرى، وتلك هي مخاطرة الله عندما يغفر من كل قلبه. واذا سأل أحدنا أعادة الصداقة هذه، فان الاجابة تكمن في المزمور 51:

"أرحمني يا الله كمثل نعمتك. وكمثل كثرة مراحمك أمح مآثمي اغسلني كثيراً من ذنبي. ومن خطيئتي طهرني"

يذكر المزمر هنا الاسم الذي كشفه الله لموسى، والمسجل في (خر 34: 6)

"فلما جاز الرب قدامه. نادى: الرب الرب الاه رؤوف رحيم طويل الروح كثير الاحسان والوفاء". يعتمد المزمر على الكشف الذاتي لأنه يعرف انه لا يكسب المغفرة.:

"لأنني انا عارف بآثامي. وخطيئتي أمامي في كل حين
اليك وحدك أخطأت. والشر قدامك صنعت. لكيما تصدق في اقوالك. وتتزكى في محاكمتك "

عندما نأتي كخطاة امام الله، يمكن ان نعدد الطرق التي بها أهناه.وربما يظهر من الغريب ان نخبر الله بخطايانا، وبعد كل ذلك؛ فان الله هو الذي يكشفها لنا، وبالتاكيد ليس من واجبه ان يذكر ما فعلناه أو اهملناه، فالرواية على اية حال ليست لأجله، بل لأجلنا. وعندما نفصّل خطايانا، نقول بتأثر " هل صديقي مازال يخفي ذلك الحقد؟ ". وبنفس الديناميكية ممكن ان تَزعج حتى علاقتنا مع الرب، وماذا نريد من الله اكثر؟. ثم يضع المزمر الكلمات الآتية في افواهنا مرة أخرى

" ها انك قد احببت الحق في الافئدة. وفي الخفية اوضحت لي الحكمة
تنضحني بالزوفا فاطهر. وتغسلني فابيض افضل من الثلج

سمعني سروراً وفرحاً. فتجذل العظام التي حطمتها
اصرف وجهك عن خطاياي. وامح كل مآثمي "

نريد الصفح الكامل، والشهادة الصحية النظيفة، وضمان ان خطايانا لن تقف في طريق الصداقة، إذ المزمر يستمر:

"قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله. وروحاً مستقيماً جدد في باطني
لا تطرحني من قدام وجهك. وروحك القدوس لا تنزعه مني
أردد لي سرور خلاصك. وبروح عاتق أعضدني "

نريد اعادة الالفة والصداقة، فإن فرحنا ليس ضمن مفهوم الطاعة الخانعة لله ولوصاياه، ولكن ان نكون واحداً مع الله، وان نعرف مرة اخرى اننا تفاحة عينه.

يمضي المزمر بالتأكيد في التحدث عن العمل مع الله كي نأتي ببقية الخطاة الى طرق الله، ويعود العائدون بالترنيم، فإن إعادة الالفة تقود الى الظفر. يزودنا الانجيل بعدد من امكانيات التأمل بخصوص الاقتراب من يسوع لأجل الغفران. فآيات الشفاء هي مثال أول. وعلى اية حال فانني اريد ان آخذ مقطعين يميزان بطرس بما انهما يقدمان دليلاً مساعداً للعديد من المسيحيين. الاول هو مشهد غسل ارجل التلاميذ في يوحنا 13، حيث يفتتح المشهد بوقار واضح:

" وقبل عيد الفصح كان يسوع يعلم ان قد حضرت ساعته لكي ينتقل من هذا العالم الى الآب.فاذ كان قد احب خاصته الذين في العالم. احبهم الى الغاية.

فلما كان العشاء وقد خامر الشيطان يهوذا سمعان الاسخريوطي ان يسلمه

(إذ كان يسوع عالماً ان الاب قد جعل كل شيء في يديه. وانه من الله خرج والى الله يمضي)

قام عن العشاء. وترك ثيابه. واخذ منديلاً وتأزر به

وصب ماءً في مطهرة. وشرع يغسل أقدام التلاميذ ونشفها بالمنديل الذي كان متأزراً به"

إن أولئك الذين يدركون ان يسوع يعرف حقاً أي نوع من الاشخاص هم، وكيف خانوا قيم يسوع، ومراراً وتكراراً فشلوا في عيش ذواتهم بصورة أفضل؛ يستطيعون في هذه اللحظة ان يشعروا بالاخوة مع التلاميذ

ان التلاميذ غير متأكدين من نزاهتهم في تلك اللحظات الاخيرة، إذ سيسألون من فيهم هو الخائن. نقرأ إجمالاً انهم سألوا:" هل أنا هو يا رب؟ "، والانجيلي يؤكد معرفة كل واحد منا بشكل كامل، والعديد من الناس يدركون هذا المقطع ويشعرون بنفس الاحجام المعَّبر عنه من قبل بطرس. انهم يشعرون بعدم استحقاقهم وصعوبة تركهم يسوع كي يغسل اقدامهم

" انت لا يمكن ان تغسل قدمي "

ان قول بطرس هو في داخل كل واحد منا، إذ اننا نجد صعوبة كبيرة في قبول الخدمة والمغفرة والمحبة للشخص الذي لا يستحقها.وخصوصاً من يسوع،

لأننا لا نستطيع عمل أي شيء لكسب محبته، فلا زلنا بحالة سيئة حتى الآن لأننا نعلم اننا غالباً ما نخونه ونخون ما هو بصدده. وهو يقول لنا ما هو عليه:

"فلما غسل ارجلهم. تناول ثيابه واتكأ ايضاً. وقال لهم: هل تعلمون ما صنعت بكم
انتم تدعونني معلماً وسيداً. وحسنا تقولون. لأني انا ذلك
فاذا كنت اذاً انا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم. فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم اقدام بعض،
لأني اعطيتكم مثالاً. لكي تكونوا كما صنعت انا بكم. تصنعون انتم ايضاً "(آية 12-15)

ربما ان أحد اسباب إحجامنا عن قبول غفرانه ينبثق من الادراك أننا سنتوقف عن أحقادنا الخاصة. ولكن الحد الاعمق لاحجامنا ياتي كما يبدو بالتأكيد من صعوبة قبول العطية المجانية، لكن عندما نعمل نقبلها، ونستطيع اختبار مشاعر بطرس:

" يا سيد. لا تغسل لي قدمي فقط. بل ايضاً يدي ورأسي"

نرى في مشهد العشاء الاخير هذا نتائج تقبل يسوع لبطرس والتلاميذ الاخرين إذ هم في ألفة ويستطيعون افشاله مرة اخرى، حيث في الحقيقة يتابع يهوذا خيانته، وبطرس ينكر معرفته لصديقه ثلاث مرات، والكل يهربون بعيداً ويتركونه.

يبدو وكأن يسوع يحتضن بذراعيه الخاطيء عبر الغفران فقط كي يجد ذلك العائد الالفة كي يمكن ان يطعنه بالظهر، وهذا يقودنا الى مشهد آخر في يوحنا 21حيث يلتقي بطرس بالرب القائم، ذلك الذي نكره.

يفتتح الفصل بمشهد صيد السمك العجائبي، فعندما يخبر يوحنا بطرس ان الرب على الشاطيء، لا ينتظر بطرس حتى يصل الى الشاطيء، بل يشد قميصه على حقويه ويقفز في البحر، ثم يحدث المشهد الأتي:

" فلما تغدوا. قال يسوع لشمعون بطرس: يا شمعون بن يونا. أتحبني اكثر من هؤلاء. قال له: نعم يا رب. انت تعلم أني احبك. قال له: ارع كباشي
قال له ثالث دفعة: يا شمعون بن يونا. اتحبني. فحزن الصفا من اجل قوله له ثالثة. اتحبني. فقال له: يا سيد. انت عارف بكل شيء. وانت تعلم أني احبك. فقال له يسوع: أرع غنمي "(يو 21: 15-17)

يختبر يسوع في هذا المشهد الرقة والاهتمام، وبدلاً من ربطه لسان بطرس، فانه يعطي فرصة له كي ينكره ثلاث مرات معاً مع ثلاث تأكيدات لحبه له وملاحظته لقول بطرس "انت تعلم كل شيء"

يبدو ان النص يقول ان بطرس قادر على تأكيد حبه ليسوع حتى لو انه يعرف ان يسوع يعرفه من الداخل والخارج، ويعرف كل عيوبه وضعفه، والناس الذين يستعملون هذا النص لأجل الصلاة، ويضعون انفسهم في محل بطرس؛

يختبرون يسوع كقوة عظيمة للغفران. واكثر من ذلك، فيسوع لا فقط يغفر لبطرس؛ ولكن يسأله ان يهتم بقطيع يسوع، وبطرس يعود الى الالفة، ويسوع لا فقط يثق به وبقلبه الخاص مرة أخرى، ولكن يأتمن اليه شعبه المحبوب. اتحد هنا الغفران والدعوى الى التعاون في العمل الرسولي.

يدعو القديس اغناطيوس في (تمارينه الروحية) المختلي الى التأمل في خطاياه كي يتكلم بشكل مألوف مع يسوع على الصليب. وعندما يفعل الناس هكذا، فانهم غالباً ما يجدون صعوبة في البداية كي ينظروا الى عيون يسوع مباشرة، ولكن عندما يفعلون؛ فانهم يشاهدون عيون محبة الغفران.

ويقترح اغناطيوس على المختلي ان يطرح أسئلة:

ما فعلت للمسيح؟

ماذا افعل للمسيح؟

ماذا سأفعل للمسيح؟. ان هذا النوع من الحديث، سيجيء بشكل سهل الى من اختبر شكل الغفران الذي اختبره بطرس بجانب بحيرة طبرية.

الفصل العاشر

اظهار الامتنان

عندما نفيض قلوبنا الى الخارج، وتصبح مسموعة، وعندما نسأل الغفران، نشعر انه اعطي لنا، فان الامتنان يتدفق في قلوبنا، ونريد ان نشكر الله. ربما أنه يساعد النظر الى مختلف طرق قول الشكر لله.ونستطيع البدء مع المزمور 107:

"اعترفوا للرب فانه صالح. وان الى الابد رحمته
ليقل مخلِّصوا الرب الذين نجاهم من يد العدو
ومن البلدان جمعهم. من المشرق والمغرب والشمال والبحر
ضلوا في البرية في قفر لا يهتدى فيه. ولم يجدوا سبيلاً الى
مدينة عامرة. جاعوا وعطشوا. وكربت انفسهم فيهم
فصرخوا الى الرب في حزنهم. فنجاهم من شدائدهم
وهداهم في طريق مستقيم. لينطلقوا الى مدينة عامرة
فيشكروا الرب على نعمته. وعجائبه لأبناء البشر
لأنه اشبع نفساً خاوية. والنفس الجائعة ملأها من الخيرات "
(مز 107: 1-9)

يستمر المزمّر في هذا الاتجاه، فيذكر مجاميع مختلفة من الناس الذين كانوا في ورطة عندما صرخوا الى الرب فانقذهم،ثم حثوا كي يقدموا الشكر الى

الرب لحبه الثابت. وهكذا هو الطريق الوحيد لتقديم الشكر من خلال تذكر الاعمال الجليلة للرب، حقاً اننا عندما ننسى ما فعله الله لنا، فاننا نبدأ باستصغار الاخرين، ونفتَخر بانجازاتنا، وهكذا نسقط في الخطيئة.

ان هذا يشبه مثل الخادم غير الرحيم في متى 18: 22–35، حيث يستلم الخادم الغير الأمين(قصة العبد الشرير) الغفران عن مديونيته الكبيرة عندما يستجدي رحمة الملك، لكنه فجأة ينسى ما تم عمله له؛ ويضع زميله الذين سبق وان ادانه مبلغاً زهيداً من المال في السجن. ان هذا الجحود يقودنا الى العمى الاخلاقي، وقسوة القلب، والحاجة الى الشفقة والقدرة على رؤية الاشياء كما هي حقاً.

هنا يجب علينا ان نُذّكر انفسنا بالمعنى الجذري للإفخارستيا. انها تأتي من المعنى اليوناني لتقديم الشكر، ففي الافخارستيا نذكّر انفسنا بكل الاعمال الخلاصية لله نحونا كأناس وافراد ونقدم الشكر له.

المزمّر والافخارستيا يدلان على ان صلاة تقديم الشكر لا يمكن ان تنضب، فنحن لا نحتاج الى الجري بحثاً عن مواد الحوار مع الله. فان كل حياتنا هي عطية، ونستطيع بأستمرار اكتشاف اكثر الاشياء التي تؤدي الى شكر الله. فان عجائب الخلق وعمل ايادي الله على سبيل المثال لا تنضب. فنستطيع شكر الله على كل شيء نراه، ونلمسه، ونسمعه، ونشم رائحته، ويعطينا السرور. ولكي نحصل على فكرة صغيرة عن كيفية كون صلاة شكر صغيرة لها قدرة بصورة لا متناهية؛ لنقرأ نشيد الفتيان الثلاثة في دانيال 3: 51– 90:"... باركا ايها النور والظلمة للرب. سبحاه وارفعاه الى الدهور ...الخ"

هناك طريقة اخرى لتطوير صلاة الامتنان، هي في قضاء وقت في الصلاة سائلين الله كي يساعدنا على ان نرى حياتنا كتاريخ خلاص شخصي. ففي كتاب (الله وانت GOD AND YOU) استنتجت ان الشخص يستطيع ان يسأل الله بعض المساعدة، وحينها يستدعي صورة من صور فترة الطفولة. فعلى سبيل المثال، صورة بيت العائلة، او صورة شخص محبوب، ويدع الذكريات تتصاعد مجتمعة بحرية تقريباً، وبطريقة اخرى نستطيع الذهاب خلال فترات حياتنا لأجل اكتشاف كيف ان الله حاضر لدينا ويخلصنا ويساعدنا في كل تقلبات الحياة.

يجب علينا ان نكتب مزمور شكرنا الخاص من خلال الاصغاء الى مختلف احداث حياتنا المخزونة.وسوف لن نختبر كل ذاكرة كذاكرة ايجابية ولطيفة، فبالحقيقة ان بعض الذكريات ربما تجلب مشاعر الاستياء والغضب من الناس في ماضينا ومع الله الذي يبدو انه لا يهتم عندما كنا نتألم. فاذا حدث هذا نستطيع القول لله كم شعرنا ونشعر كما لاحظنا سابقاً:" اين كنت عندما ضرب ابي أمي وضربنا؟"."ما نوع تاريخ الخلاص الذي وضعته لي عندما ...؟ ". تكفي غرابة هذا النوع من الصلاة ان تقود الى القبول والامتنان مع انها ربما تتطلب بعض الوقت.

لقد وجب على الشحاذ الاعمى برطيماوس (مر **10**) انه قبل ماضيه، فهو رجل اعمى وشحاذ، ولا يبدو انه تمرغ في الاستياء من طبيعة الحياة التي صنعته، فاذا فعل، فانه لن يكون قادراً على ان يسأل طلباً للبصر قسرياً.

كي يصل برطيماوس الى نقطة القبول هذه؛ يجب عليه ان يذهب عبر كل مراحل التفسيرات المبنية بصورة حسنة جداً (من قبل اليزابيت كبلر روس

Elisabeth Kubler-Ross.)ولكن الان يجب عليه ان ينكر عماه والهيجان الذي في حياته ومع الله، والمساومة معه ليصبح مكتئباً، لكن الان قبل عماه، ولحد الان كان قبوله شيئاً من الماضي، لا سيطرة على حريته الان، فان حريته هي إنَّه يرغب في التغيير

"رابي، اريد ان ارى "

من المهم ان يدرك برطيماوس او أي واحد منا ما يعنيه الارتطام الكامل كي يقبل الماضي. انه لا يعني عدم الشعور بالحياة، ولا حتى التعامل الوردي. فالحياة تعاملت مع برطيماوس عبر ضربة قاسية كما قد واجه ضربات قاسية من العديد من الناس. فالاطفال أخضعوا الى اباء غير محبين وغير ماهرين وصاروا جسمياً ونفسياً مجروحين روحيا نتيجة ذلك. والاقرباء المحبوبون؛ افترقوا بشكل مأساوي ودائمي، والباقون يجرحون بعمق.

ان نقبل الماضي لا يعني ان نقبل كل شخص وكل شيء، لكن ان نغفر بطريقة عميقة

وضع سورين كيركجارد في (الخوف والارتجاف Fear and Trembling) تصريحاً اثناء تعليقه على القصة الكتابية لطوبيا وسارة. فقد تذكر ان سارة قد صارت مهزلة لدى جاريتها الخاصة لأنها تزوجت سبعة رجال وماتوا في ليلة زواجهم. والان طوبيا طلب الزواج منها، ولقد رأى العديد طوبيا بطلاً لكن كيركجارد يقول "لا "

سارة هي البطلة ...لأن ما تتطلبه محبة الله هو ان يكون الشخص راغباً ان يترك نفسه شافياً عندما منذ البداية يفسد بدون عيب شخصي، فمن البداية اصبح للشخص نموذج مجهض من قبل الانسانية. والنضج الاخلاقي يتطلب افتراض مسؤولية السماح للمحبوب ان يعمل مثل هذا

العمل الجريء !، فأي اذلال من قبل وجه الشخص الآخر!، واي ايمان في الله كي نؤمن انه في اللحظة القادمة عليها ان لا تكره الزوج الذي اصبحت مدينة له بكل شيء

كي تقبل الماضي كماضي نجلب منه الحرية، لكن الحرية لا تعني انني لست الشخص الذي صنعه الماضي، فبرطيماوس هو من هو لأنه شحاذ أعمى، وسارة ايضاً هكذا هي، بسبب تاريخ زواجاتها

مثال آخر هو معزز باستجابة شاب ولد وبه مرض سرطان الدم، وفي أية لحظة من حياته كان من الممكن ان ينزف حتى الموت من جرح بسيط. ولقد سُئل فيما اذا رغب ان لم يكن قد اصيب بالمرض فقال:" كيف استطيع انا – او أي شخص – ان ارغب في حدوث اكثر الاشياء اهمية لي، لم يحدث؟ انه اشبه بالقول اني ارغب ان اكون قد ولدت على كوكب آخر مختلف جداً، وكان من المحتمل ان اكون به. فضعه في هذا الطريق: ذلك اني لن يكون لدي طريق آخر "

وحتى الان، ومع هذا القبول، فان هناك الحرية التي تأتي من الماضي، فبرطيماوس تحرر من كونه مسجوناً:"شحاذ أعمى " حتى اذا لم يستعيد بصره، فهو حر ان يصبح الشاعر الاعمى برطيماوس زوج مريم، او الاعمى برطيماوس تابع يسوع. كذلك ايضاً يستطيع المصاب بالسرطان وهو صغير، بقبوله ماضيه ان يصبح دكتوراً، او معلماً، او زوجاً، والذي من الممكن ان يصبح مصاباً بالسرطان. وان يقبل الماضي، كما ان ماضيَّ يعني قبول المستقبل المتحدد بماضيَّ،ولكن مع هذا المستقبل.

يدعو اريك اريكسون Erik Erikson المرحلة التطويرية الاخيرة بالازمة بين نزاهة الانا واليأس. ان التكامل او الحكمة وصفت في (الطفولة والمجتمع Childhood and Society):" انه قبول الواحد للآخر، وكان لزاماً لدورة الحياة ان تكون، وتلك بالضرورة، لم تسمح بالاستعاضة:" انه يعني هكذا،محبة مختلفة وجديدة لوالدي الشخص." وهذا ما عنيت سابقاً عندما قلت ان مثل هذا القبول يقصد ان يغفر بعمق، وانه ليس تحقيقاً لرغبتنا، ولكن نعمة نستجديها بالصلاة، والنتيجة هي الامتنان.

استمع الى كلمات روبرت ماسي (Robert Massie,Jr.) المصاب الصغير، وانظر فيما إذا كنت تستطيع ان تحس بالامتنان الذي عنده.

هل انا عقلاني؟ ...كي اقول ذلك يجب ان اقول اني جئت عبر الالم ومشاكل سنواتي الثمانية عشر الاولى والتي لا تكشف عن شيء بالنسبة لها. ان تؤمن بذلك، يجب ان تؤمن اني لم اتعلم شيئاً عن الطبيعة الانسانية والشفقة عبر سنوات المستشفيات، وذلك لأن والديَّ كانا عاجزين عن ان يمنحا احساساً اكثر من قدر متوسط من الايمان خلال كل انتكاساتي. فاذا كانت هذه حقيقية.واذا امتلكت ركائز الغلبة، والاستنزاف، والالم، والوعي الذاتي، والسأم، والحزن، حيث لم أضِف بأية طريقة الى تقديري لهذه الحياة الموهوبة لي، آنذاك كان ذلك سوء حظ حقاً إذا كانت تدعو الى الشفقة. (روبرت ماسي وسوزان ماسي، الرحلة، نيويورك 1975، ص 360).

انها نعمة عظيمة ان تشكر الله حتى لما يبدو مأساوياً في الحياة، ونحن بذلك لا نخطئ، فانا بالاحرى لا أحث القراء الى مثل هذا الامتنان، ولكن مثل ديلان توماس نحو ابيه المحتضر؛ احث اولئك الذين يشعرون بالغضب والاستياء في حياة الالم كي أسأل الله كي يكون حاضراً، ويساعدنا لنؤمن ان الليل هو "حسن"، اذاَ ربما نحن ايضاً سنختبر خلاص الله، ونكون قادرين على الصلاة من كل قلوبنا

" فصرخوا الى الرب في حزنهم. فخلصهم من شدائدهم
ارسل كلمته فشفاهم. ونجاهم من مهالكهم
فليشكروا الرب على نعمته. وعجائبه لأبن البشر
وليذبحوا له ذبائح التسبيح. وليصفوا اعماله بالتهليل "(مز 107: 19-22)

الفصل الحادي عشر

انشاء مزمورنا الخاص بالامتنان

في الفصل الاخير أشرت الى اننا ربما نريد كتابة مزمورنا الخاص بالامتنان الى الله. اريد ان استخدم جزءاً من قصة الطفولة في انجيل لوقا كي أشير الى نقطة في الفصل الاول حيث نلتقي بزوج عقيم وعجوز: زكريا واليصابات، وابن عم اليصابات، وفتاة صغيرة اسمها مريم. ان قصتهم تذكّرنا بقصة حنة أم صموئيل، والتي التقينا بها في الفصل الخامس، ومع قصة ابراهيم وسارة والتي التقينا بهما في الفصل الثالث، ومثل عقم سارة واليصابات، فان ابراهيم وزكريا يسمعان وعداً بالابن، وهما مرتابان. إن تسبحة مريم تحمل اكتشافاً يشير الى نشيد شكر حنة عندما جلبت صموئيل الى الهيكل. ان الفصل الاول للوقا يحدث مثل هذا الشعور مع إثارة إستثنائية وغامضة، وفرح يجلب ويحمل الى الاقتراب من الله، وانا ادعو القاريء الى عكس ذلك تأملياً معي.

تشرح الآيات 5 الى 7 من هم زكريا واليصابات، وتنتهي بكلمات حادة:"ولم يكن لهما ولد،لأن اليصابات كانت عاقراً،وكانا كلاهما قد طعنا في أيامهما." وعل متن هذه الملاحظة يدخل زكريا بالقرعة الى قدس اقداس الهيكل حيث يرتاع من الرؤيا.

ان الاقتراب من الله يوقظ الخوف في انسانيتنا. ولكن كان للملاك اخباراً جيدة، وليست سيئة لزكريا، إذ ان زوجته العاقر ستحمل ابناً "يكون لك فرح وتهليل، وكثيرون يفرحون بمولده."،"كيف اعلم هذا؟"عندما خرج، لم يقدر ان يكلمهم وكان يشير اليهم، واقام صامتاً يعمل إشارات تشير الى ان شيئاً

استثنائياً حصل له. والمستحيل يتم تجاوزه، حيث اليصابات تصبح حبلى.والله ازال عنها "ألعار"مثلما فعل لحنة.

ثم يتحرك المشهد الى الناصرة، حيث تستقبل العذراء زيارة مدهشة أكثر من كونها رسالة من الله، إذ نلاحظ مرة اخرى الخوف الذي يؤثر نتيجة الدنو من الله، فتعلن الاخبار السارة مرة أخرى.

يبدو ان اعطاء مغزى الاعلان، والدعوة مع كل التاريخ اللاحق هو أشبه بتصريح لتسميتها بالاخبار السارة، ويمكن تقريباً لأي شخص ان يتحسس كون الكون يحمل نفساً مثلما ان الملاك ينتظر جواب مريم. فكّر بما يترتب على اجابتها ! حيث يختبر الشخص تنهداً وتعجباً عندما تقول مريم: **"انا خادمة الرب ...ليكن لي كما قلت."**

ربما تعتبر هذه هفوة فتاة، ولكن مع جوابها، ربما يقول أحدنا، ان العالم تمحور في اتجاه جديد، فلا عجب ان المسيحيين يريدون ان يحنوا رؤوسهم أو ركبهم، لأن هنا في هذه القرية الصغيرة جداً، أمة أسيرة معاً مع فتاة صغيرة تقبل البشارة

"والكلمة صار جسداً وحل فينا "(يو 1: 14)

بعد هذا المشهد تسرع مريم لزيارة اليصابات، وتحييها، فيقفز الجنين في رحم اليصابات مبتهجاً، فتقول اليصابات لمريم ما يريد المسيحيون قوله خلال الاجيال الاولى لها لما فعلته لنا:" مباركة انت في النساء، ومبارك الطفل الذي ستحملينه، ولكن لماذا انا مفضلة جداً، ذلك لأن أم ربي يجب ان تأتي اليَّ؟ وحالما وصل أذنيَّ صوت تحيتك، قفز الجنين في رحمي مبتهجاً، مباركة التي آمنت، ذلك ما يقوله الرب لها سيتم "

لقد جاء الله الى أقرب ما يستطيع، وأخيراً ان الاستجابة ليست خوفاً وارتجافاً، ولكن بهجة غير محدودة، فقد قفز يوحنا في الرحم للبهجة، ليذكرنا

بكل تلك الحالات الاخرى في التوراة حيث يجلب حضور الله البهجة المدهشة، ويجعل الاقدام ترقص، والصوت مرتلاً، ويُعيد أنشودة موسى ومريم بعدما انقذ الله بني أسرائيل من جيش فرعون في البحر الاحمر (خر 15: 1-21)، او رقص داود "رغم كل ما قد يحدث"أمام التابوت حالما جلبه من أورشليم (1صم 6: 14-15)، أو المزمور 149 " فليسبحوا أسمه بالرقص. بالدف والمزهر فليرتلوا له " (مز 149: 3)

ان صورتي المفضلة تتواجد في الفصل الثالث من سفر الاعمال عندما شفي الشحاذ المشلول:

"فوثب وقام. وصار يمشي. ودخل معهما الهيكل وهو يمشي ويطفر ويسبح الله " (أع 3: 8)

ان ماحدث عندما كتبت الفقرة الاخيرة ربما يعطينا اشارة حول كيفية كتابة مزمور أمتناننا الخاص، فعندما بدأت وانا ليس لدي فكرة أنني سأتذكر صور الرقص لأجل البهجة، لقد جاءت من خلال المصاحبة، كما تأملت بكلمات النص اللوقاوي. فاذا تركنا انفسنا تشعر بالعواصف المثارة بتأمل نصوص آيات الكتاب المقدس، فاننا سنجد انفسنا تنتقل فوراً من صورة الى صورة، مثلما ان قلوبنا وعقولنا تحاول ان تعبر عن كل ما هو مثار فينا من خلال الاحساس بحضور الله وجودته وشفقته.

تفضي مريم (في نص الفصل الاول من أنجيل لوقا) تسبيحتها بالترنيم، كما تعلن في أول كلمة من الترتيلة في الترجمة اللاتينية، لقد وضع المؤلف في فم مريم أغنية تشبه (لحافاً ذا رقع)، فمن يراجع نصوص العهد القديم، يبدو له انها تولت عملية مصاحبة ذلك.

اريد ان ابين وبمساعدة الكتاب المقدس والمراجع – نتائج عملية المصاحبة الابداعية، حيث ان الترجمة تبرز عبارات أخذت من العهد القديم:

"اعتز قلبي بالرب ... وابتهج بالله مخلصي "(1صم 2: 1؛ حب 3: 18)

"...ان نظرت نظراً الى مذلة أمتك..."(1 صم 1: 11)

نعم من اليوم فصاعداً ستهنئني جميع الاجيال

" أرسل خلاصاً لشعبه. أقام الى الدهر ميثاقه. أسمه قدوس ومهوب"(مز 110: 9)

"اما نعمة الرب فهي من الدهر والى الدهر على خائفيه."(مز 103: 17)

صنع القوة بذراعه. فرق المستكبرين بفكر قلوبهم

"يأخذ الكهنة عراة. ويوطيء الاقوياء " (أي 12: 19)

"الذي يجعل الضعفاء في العلو. " (أي5: 11)

" والنفس الجائعة ملأها من الخيرات "(مز 107: 9)

وارسل الاغنياء فارغين

"يأتي لمساعدة اسرائيل عبده."(أش 41: 8–9)

"ذكر نعمته ..." (مز 98: 3)

–طبقاً للوعد الذي عمله لأجدادنا – لرحمته الى ابراهيم وأحفاده الى الابد.

لقد ذكر المؤلف عبارات من اجزاء متعددة من التوراة والتي تحمل موضوع بهجة وشكر مريم. ان حالة مريم بكونها حبلى بشكل عجائبي، واستذكار حنة وانشودة الشكر التي غنتها، وهي مجرد فتاة صغيرة (خادمة متواضعة) رفعها الله الذي لم يختار القوي والقادر، لكن الضعيف والمتواضع. نتذكر عبارة بولس:" بل انما اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الاقوياء. واختار الله ادنياء العالم والمرذولات والغير الموجودات ليبطل الموجودات " (1قور 1: 27-28).

ان التأمل في سر مريم يذكّر مؤلف لوقا كي يقول من المزامير وأيوب، اشعيا الذين رددوا نفس الموضوع. وبجانب العبارات البارزة، والتي هي اقتباس مباشر تقريباً. وهناك العديد من المراجع الاخرى للمواضيع الكتابية في النص، فالانشودة هي عمل لحاف مرقع.

اذا اردنا كتابة مزمور امتناننا الخاص ومدح الله، يمكن ان نأخذ ورقة من لوقا، ونبدأ بافكارنا الخاصة ومشاعرنا، وندعها تتحرك كما تشاء، ويحتمل اننا نتذكر قصائد أو أسطر أو عبارات تلقينا باصابة بعيداً عن ما نريد قوله، فالكلمات والصور الكتابية ربما ستقفز الى الفكر، فندونها جميعاً بسرعة. وانت ربما تريد ان تنظر الى ما هو فوق النصوص او لا تريد، فلاحظ ان مؤلف لوقا يبدو انه يعمل من الذاكرة، فالاشارة ليست ادراكاً لدقة ما، ولكنه يحاول أن يخبر الله هكذا، أي انه ممتن بنفس القدر الابداعي والكمال الذي نستطيع ادارته.

وبعد ان ندع المصاحبة والذكريات تأتي، نستطيع أن نضع مزموراً سوية، ونخيط العديد من المواضيع والعبارات على قدر استطاعتنا، فلا أحد عدانا يقرأ مزمورنا اذا لم نرد مقاسمته كما فعل المزمرون.

اننا نحاول فقط أجراء تمرين في خلوة غرفتنا الخاصة، او في مصلى يمكن ان نكون احراراً ومختبري البهجة، ونفتح طرقنا الى التعلق بالله. فنحن نعمل

اشياءنا أمام الله مثل أحدب نوتردام بدون شهود: و" واما انت فاذا صليت. فادخل الى مخدعك. واغلق بابك. وصل لابيك سراً. وابوك الذي يرى في السر يجازيك "(متى 6: 6)

الفصل الثاني عشر

معرفة يسوع

لقد ركزنا في هذه الفصول الخاصة بالالفة مع الله؛ على قيمة الشفافية او السماح لله كي يعرف ما نعتقده ونشعر به حقاً، حتى عندما لا نحب أو نرهب من ما نعتقده ونشعر به.ولقد أشرنا ايضاً الى العلاقة مع الله باعتبارها ناضجة، إذ يكشف عن أفكاره ومشاعره، وما يقيمه، وكيفية تفاعله معنا. ولقد تعلمنا في الصلاة التعامل الكبير تجاهه وتجاه انفسنا أيضاً، وهذه الرغبة في (معرفة) الله، هي (معرفة)في مفهوم يوحنا لـ (من يعرف المحبة)، وهي تسكن في أعماق قلوبنا، حتى لو كما لاحظنا ان الرغبة هي غالباً ما تُسَكتُ بسبب خوفنا منه ومن انفسنا.

نؤمن نحن المسيحيون ان يسوع الناصري هو المتجسد الذي أخذ جسداً "كما تترجمه روزماري Rosemary Haughton "من الله، او كي نكون دقيقين أكثر؛ من كلمة الله أو الابن. فاذا كنا نعرف محبة الله، فان رهاننا الافضل هو ان نعرف ان نحب يسوع، حيث ان الطريق الميسر الى الاتحاد معه –أي مع الله–؛ يمر عبر يسوع الناصري.

وفي الفصول القليلة القادمة، أريد ان اناقش كيف نستطيع ان نعرف ان نحب يسوع. إذ أدعوك الى ان تتأمل مشهداً في الفصل الاول لإنجيل يوحنا، حيث يصرح يوحنا المعمدان انه ليس المسيح، لكنه صوت للمسيح، وبعد يوم

رأى يسوع قادماً نحوه فأشار اليه كحمل الله، واعطى شهادة عنه. ثم يلي المشهد:

"وفي الغد كان ايضاً يوحنا ماشياً واقفاً هو واثنان من تلاميذه
فنظر الى يسوع ماشياً، فقال: هوذا حمل الله
فسمع التلميذان كلامه. فتتبعا يسوع
فالتفت يسوع. فرآهما يتبعانه. فقال لهما.ماذا تريدان.
فقالا له: رابي.الذي تأويله يا معلم. أين تقيم
فقال لهما: تعالا وانظرا. فاتيا. وابصرا اين كان يسكن.
فاقاما عنده يومهما ذلك.وكان نحو عشر ساعات "(يو 1: 35-39)

هل تستطيع جعل نفسك في مكان هذين التلميذين؟ إنك مدعو كي تكون مع يسوع، وانت تسير خلفه، انه يلتفت اليك ويسألك "ماذا تريد؟"فماذا تقول له؟ تذكر تلك الامانة، فانها احسن خطة عمل، وربما لا تريد أي شيء، ولكن كي تجري ضمن مسافة معينة، وربما كي تعرف انك قد نلت الغفران، وربما تريده ان يريحك، فاسأله فقط ماذا تريد.

ان العلاقة غالباً ما تخفق أصلاً عندما لا يعرف طرف أو طرفان ماذا يريد أحدهما من الآخر، فاذا اردت كتفاً كي تصرخ، فانني لا أقول لك ماذا أريد، ربما لأنّك تسيء الفهم الواضح، بسبب جفائك، فتشعر بالاذية، أو ربما أشعر انك

غير مبال عندما تقول لي شيئاً بخصوص يومك حيث لا أحتاج فكرتك كي اتعاطف حقاً، لأني لا أعرف حتى كوني أصرخ على أكتافك كي أوضح رغبتي، لذلك في علاقتنا مع يسوع ايضاً نحتاج الى الرجوع الى هذا المشهد مرة أخرى ومراراً وتكراراً كي نسمعه يسألنا ماذا نريد.

أشرنا في الفصول السابقة الى طرق سماح الله أو يسوع. وإعطائنا ما نريد، فلقد تكلمنا عن أمنية التغلب على خوفنا، ولأجل الراحة والشفاء والمغفرة اريد الان ان افترض انني اريد مع التلميذين ان أرى اين هو يسوع. وانا أملك هذه الرغبة كي أقول ان التلميذين يريدان ان يعرفا أكثر بخصوص يسوع، ذلك لأنهما يريدان ان يقضيا وقتاً معه لأنهم منجذبون اليه.

يشجع القديس أغناطيوس في ما يدعوه الاسبوع الثاني من تمارينه الروحية؛ المتروض كي يسأل عن النعمة كي يعرف يسوع أحسن لأجل ان يحبه أكثر، ويتبعه بقرب أكبر

الرواية الغنائية **Godspell** تضع نفس الرغبة في هذا السبيل:

" كي نراه بوضوح أكثر كثيراً، وكي نحبه أكثر كثيراً،وكي نتبعه أكثر قرباً "؛ فإننا والتلميذان لدينا في الواقع مثل هذه الرغبات، ونريد الصداقة مع يسوع.

لأول وهلة، فانه يحتمل ان مثل هذه الرغبة تكون كنزهة فكرية، فعندما نشعر اننا منجذبون الى أي شخص بشري، فاننا نشعر نوعاً ما بالخوف. أليس كذلك؟. اننا نخاف لئلا نجد الصالح بما فيه الكفاية، كفاية تكفي الى هذا الشخص الجذاب. وبالطبع وكما يزعم سيباستيان مور بشكل صحيح في (دع هذه الفكرة فيك **Let This Mind Be In You**) اننا لا نرغب أبداً ان نعرف –أية

محبة– يكنها الواحد للآخر، وبنفس المستوى، لا نشعر اننا انفسنا كنا مرغوبين، ولا زلنا غالباً ما نجهض رغبة الصداقة أو الالفة مع الآخر بسبب الخوف من كون الآخر لن يبادل الرغبة. ويُحتمل ان يكون اقوى منا، وحتى عندما نشعر بالرغبة في ان نعرف يسوع، فما الذي يساعدنا كي نتغلب على هذا الخوف؟.

أشرنا في الفصول الاولى الى ان الخبرة هي الجواب الوحيد، فاذا نظرنا الى عيون يسوع ووجدنا هناك الشفقة والمحبة والغفران والدفء، فان مثل هذه الخبرات تشحذ رغبتنا لمعرفة يسوع أكثر من ذي قبل، وتُطمئِنُنا على انه يريد ان نكون أصدقاءه. ان الرغبة، على سبيل المثال، تؤكَد عندما يمكن ان نفهم بطرس في يوحنا 21، والاحساس ان يسوع يدعونا الى رفقته، أو عندما نسمع ما تعني لنا هذه الكلمات في حساب يوحنا في العشاء الاخير:

"ما من حب أعظم من هذا. أن يبذل الانسان نفسه عن أحبائه. انتم احبائي ان عملتم ما اوصيتكم به
لست اسميكم بعد عبيدا. لان العبد لا يعلم ما يصنع سيده. ولكني سميتكم احبائي. لأني اعلمتكم بكل ما سمعت من أبي ليس انتم اخترتموني. بل انا اخترتكم. واقمتكم لتنطلقوا وتأتوا بثمار. وتدوم ثماركم. لكي يعطيكم الآب مهما سألتم باسمي انما اوصيكم بهذا. لكي يحب بعضكم بعضاً "
(يو 15: 13–17)

دعونا نفترض اننا نملك رغبة في محبة يسوع، فما معنى اننا نرغب؟، أنرغب في تطوير الصداقة؟ ولكن أية صداقة؟. انك لا تعملها عبر التحدث طول

الوقت، ولا بالتفكير به (أو بها) كثيراً، فان تلك علاقة خيالية. ولا عندما تنهمك مع نفسك، ولكن تعملها عبر محاولة استنفاذ الوقت مع الآخر، وبسؤال الآخر كي يتحدث لك عن نفسه (أو نفسها)، وذلك يعني النظر والاصغاء، وعلى سبيل المثال التأمل.

عندما ننظر، ونستمع الى الاخرين، فماذا نريد ان نعرف؟. نريد ان نعرف القلب الآخر ما يحب وما ينفر منه، والمحبة والكره، والبهجة والحزن، أليس كذلك؟ حاول ان تتخيل علاقة بدون قلب، انها ستكون علاقة مع انسان آلي. وكما في القصص والافلام فحتى الانسان الآلي يعطى بعض المودة والقلب، والا ستكون علاقة مملة وجافة، وطبعاً تحتاج الى بعض المعلومات عن هذا الشخص الذي تريد ان تعرفه معرفة افضل، فانت تود ان تعرف من أين هو، وكم عدد أخوته واخواته، وما هي المدارس التي ذهب اليها ...الخ لكن هل ستقتنع بذلك؟ ماذا تحب ان تعرف ما عدا ذلك؟ انك نريد ان تعرف ما هو شعور الشخص نحو عائلته (أو عائلتها)، ومكان الولادة، والمدارس التي درس فيها، وتريد ان تعرف طبيعة قلبه: مزاجه، ولعه، وما يحبه، وينفر منه، وقيم الشخص، وأخيراً تريد ان تعرف ما هو شعور الشخص نحوك، وتريد ايضاً ان تعرف ماذا، وما هو اهتمام يسوع بالقيم والمحبة والكره. فيسوع نادراً ما يكشف عن المعلومات، انه يبكي على اورشليم، ويدعو الفريسيين قبوراً مكلسة، ويصرخ بوجه بطرس بغضب:"خلفي يا شيطان !".

لذا فان اول شيء يقال بخصوص تأملنا بيسوع هو ان كل واحد منا يرغب ان يعرف قلبه، هل تحبني؟ هل تغفر لي؟ هل تهتم بي بالطريقة التي اهتممت بشعبك (ابناء العهد القديم)؟ هل تبتهج بما أبتهج؟ وكيف تجعل القيمة(Value)؟ ماذا تشبه يا يسوع؟ قل لي كيف شعرت في البستان أو عندما

غسلت أرجل التلاميذ. وفي كل حالات الرغبة في الكشف الذاتي في تعابير القلب من جهة الله أو يسوع.

لوهلة نرى ان هذا هو ما ينويه التأمل، ونرى انه ايضاً يتضمن قلبنا الخاص، والصداقات المتبادلة التي تتطلب حواراً مسبقاً، ورغبتي لمعرفته هي عاطفية، وربما شعرت بعمق انني استطيع ان اصبح مقفراً ان انا لا احصل على ما اريد، ومثل القديسة ترازيا الافيلية التي وفي اشارة واحدة في حياتها قالت لله " اذا كان هكذا تعامل اصدقاءك، فلا عجب انهم قليلون ".

ان ما يهز العقل هو الادراك ان ما يريده يسوع هو ان يعرفني ويريدني ان اعرفه، وهذا يقود مرة اخرى الى تصور الشفافية، فكشف النفس لا يجيء مرة واحدة، وبالحقيقة نحن نخاف ان نفعل ذلك ببطء، ولكن لاحظ ان كشف الذات يعني ان ندع ذات الشخص تصبح شفافة اكثر فاكثر، وهذا يمكن ان يصبح مخيفاً، فنحن ربما لسنا بشبه بعض التاثيرات التي تبرز فينا مثلما تتعلق بيسوع، ولا بعض ردوده العاطفية، اما وعلى اية حال، فمثلما ان كل علاقة هي حقيقة؛ فان العلاقة مع يسوع ستتعمق كذلك فان اثنين منا سيصبحان شفافين اكثر فاكثر في كلمات الواحد للاخر، عندما نرغب في رؤية يسوع كما هو في الحقيقة، وندعه يرانا كما نحن حقاً، فصداقتنا معه ستركد عندما تختفي بوعي منه تأثيرات قوية محددة، او عندما نحاول تجنب مشاعره القوية.وهنا طريق واحد افضل للاقتراب من الحصول على معرفة يسوع، أبدأ في جعل رغبتي في معرفةً أفضل، لذلك ربما احبه اكثر واتبعه بقرب اكبر، ثم اجلس واقرأ الفصول العشرة الاولى لإنجيل مرقس، واذا كان بالامكان ففي جلسة واحدة، واترك قصص الانجيل تؤثر عليّ، وتمس خيالي، وتوقظ عواطفي، وتجعلني اعتقد وارغب.فالاناجيل ليست مجلدات

تاريخية جافة، ولا ادلة لاهوتية، هي ادب خصب الخيال كتب كي يثير أيمان، وأمل، وحب القراء. ان انجيل مرقس يعتبر اول انجيل مكتوب، وهو مكتظ بالافعال والقصص، لذا هو احسن مكان كي نبدأ في الحصول على معرفة افضل ليسوع.

وبعد ان انهي قراءة الفصول العشر الاولى، استطيع لوقت قصير ان اعكس ما هو هدفي بخصوص يسوع، وكيف تفاعلت معه؟ وهل احببته؟ وما بقي في الذاكرة؟. ان هذه الانطباعات الاولى مهمة لانها تخبرني كيف يأتيني يسوع مباشرة الان، وربما اريد ان اتحدث معه الان. احياناً يلاحظ الناس كم ان هذه الخطوة مستعجلة، وكم ان يسوع جادٌّ، واحياناً نلاحظ انه غالباً ما يأخذ وقتاً ليصلي الى ابيه، خاصة في الاوقات المهمة من حياته، واحياناً نتعجب من شفقته، وفي اوقات اخرى ننغمس في غضبه وغيرته وهكذا يرد على غضب وعنف الآخرين.

احياناً ننجذب من خلال علاقته مع رسله، واحياناً نضعه جانباً لعنفه، ان الصلاة تساعدنا كي نرجع الى ما هو مفيد مهما كانت اضطراباتنا اكثر قسرية عندما نقرأ سائلين يسوع كي يعمق معرفتنا ونحبه او ليساعدنا كي نفهم صوراً عنه لا نحبها. فعندما نقرأ الانجيل بهذه الطريقة مع الرغبة بمعرفة أفضل ليسوع، فاننا على ثقة انه سيأخذ فرصة تأملنا كي يكشف شكل نفسه، والذي نحتاجه، ويمكن ان نتعلق به في هذا الوقت، وبكلمات اخرى فاننا على ثقة انه في التأمل بالانجيل سنفتح انفسنا ايضاً الى لقاء حقيقي مع يسوع الحي الذي ما زال يريد مرافقتنا على الاقل على قدر ما فعل في حياته العامة، ونثق ايضاً ان روحه القدوس سيستخدم تأملنا وخيالنا كي يكشف يسوع عن نفسه لنا.

يشجع اغناطيوس دي ليولا الذين يمارسون الرياضات الروحية، كي يستعملوا تخيلاتهم عندما يتأملون بالانجيل كي يروا الناس في المشهد، ويسمعوا ماذا يقولون، ويستنشقوا الروائح ...الخ. انه حتى ينصح المتروض كي يقوم بدور الخادم للعائلة المقدسة في مشهد الميلاد، لذلك لا داعي لان نكون خائفين كي ندع خيالنا يذهب سدى، بل لنثق ان الروح سيقودنا.

ربما ان بعض الاسئلة القادمة ستساعد القاريء كي يجرب هذا النوع من التأمل الانجيلي. هل يسوع يريدني ان ابقى معه حينما كان يصلي على جانب الجبل؟

هل هو بحاجة الى كتف ليصرخ عليه عندما كان يبكي على اورشليم؟

هل هو بحاجة الى ان تفيض مشاعره ايضاً؟

ماذا يمكن ان اعمل ليسوع في وضعه الحرج؟

هل يريدني ان ابقى معه في بستان الجثسيماني؟

شخص واحد امضى كامل اليوم الثامن في التروض باقياً مع يسوع عندما تحمل آلامه، وحتى ساعده في وقفة واحدة كي ينهض ويستمر، فهل يمكن ان امسح وجهه أو اعطيه كأس ماء؟. هل لا زال يعاني كما يعاني مع الناس المعذبين بسبب اعتقاداتهم؟ هل يود ان يتحدث عن مشاعره معي؟ وكيف يشعر حول حضوري معه في هذا النوع من التأمل؟ ان هذه بضعة اسئلة فقط ربما تنهض فينا مرة لنسمح لانفسنا ان نقرأ الانجيل بشكل خصب الخيال مع الرغبة بان نعرف يسوع معرفة افضل لأجل ان نحبه بعمق اكبر وان نتبعه عن قرب اكثر.

الفصل الثالث عشر

ماذا يحب يسوع

يقول جون شي John Shea في كتابه (تحدي يسوع The Challenge of Jesus) ان يسوع كان يهودي الوصية الاولى: " بالنسبة الى يسوع، فان عهد الله هو ان الرب هو الهه، ولا يوجد آلهة اخرى امامه ...ان كل نسمة من يسوع تخبر بقصة الله، وان اهتمامه القاطع، ومركز تنظيم شخصيته ونشاطه هو انه (أي الله) هو الذي ارسله "(ص63).

ومن الجدير ان نذّكر انفسنا ان أي شيء آخر يجب ان نقوله عن يسوع يشترط ألاَّ يضيع حقيقة انه (كان ويكون) إنساناً خاصاً جداً، يهودي المولد في فلسطين الاسيرة، ويهودي المعتقد، وتركيز أهتمامه لم يكن على نفسه، لكن على يهوه، الواحد، الله الحقيقي. فحسب المعطيات التاريخية، والتقليد، والتعليم الذي عرضناه على العديد منا، فان المسيحيين يميلون الى التشديد على لاهوتية المسيح، ويهملان انسانيته،فلا زالت المشكلة تواجه العديد من تلاميذه المبكرين، لا لأنه كيف ان الله يصبح انساناً، أو بالاحرى كيفية فهم الخبرة التي كانت لديهم عن هذا اليهودي المسمى يسوع، خصوصاً بعد القيامة. لقد اختبروا حضور نفس يسوع مع الذين ساروا واكلوا في فلسطين. والخبرة التي شعر بها هي اشبه بخبرة الله نفسه، لذا نحن بحاجة الى مساعدة الروح القدس كي نختبر نفس السر، أي كي نختبر يسوعاً حقيقياً هو كلمة الله.

ان طريقة اعطاء الروح هي الوحيدة التي تقودنا في هذا الاتجاه، وهي التأمل بالانجيل مع الرغبة التي تحدثنا عنها في الفصل الاخير. فالرغبة لمعرفة افضل هي لأجل محبته اكثر، واتباعه بقرب اكبر. وهناك طريق آخر لنقل نفس الرغبة هي بالتساؤل:"ماذا تحب، يا يسوع؟".

اقترح أن أَخذ بعض المقاطع من انجيل مرقس لأؤشر الاجابات الممكنة للسؤال المطروح اعلاه، لهذا الغرض أستدعي خبرتي الخاصة في تأمل الانجيل، ولكن عبر ذاكرة خبرتي الموصوفة من خلال العديد من الاشخاص عبر المراجعة والارشاد الروحي. انني اعمل ذلك ببعض الخوف والارتجاف بسبب الخطر من أخذ هذه الخبرة كمعيار. فلا زلت لا اعلم أي معان اخرى من دعوة القراء لاكتشاف احتمالات الاشارة الى بعض الطرق التي اعلنها يسوع نفسه الى الناس. وفي نفس الوقت يجب ان أنبه الى ان خبرة أي شخص ليست معياراً لي أو لك. فكل صداقة هي فريدة،وما يحصل بينك وبيني ولم يحدث سابقاً ابداً بنفس الطريقة بالضبط بسبب كوني انا وانت فريدين. لذلك فان صداقتنا هي فريدة، وفرادتها تتضمن صداقتنا. ونفس الشيء هي صداقة الشخص مع يسوع، انها ليست حالة اكثر من "الشيء القديم نفسه ".

ان واحداً من الاسباب التي جعلت الارشاد الروحي مثيراً جداً لي هو ان كل شخص أراه؛ له قصة جديدة يقولها بخصوص العلاقة مع الله أو يسوع. ومع هذا التنبيه، دعونا نمضي كي ننظر في المقاطع المختارة من انجيل مرقس.

للحظة، وبعد اجتياز يسوع المعمودية، التي تعتبر دخولاً الى مسرح الانجيل، والذي سنرجع اليه فيما بعد، نقرأ مباشرة بعد العماذ:

"ومن بعد ما أسلم يوحنا. وافى يسوع الى الجليل. يكرز ببشارة ملكوت الله قائلاً: قد كمل الزمان. وقرب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالانجيل " (1: 14-15)

اننا لا نضع غالباً تصورات التوبة والاخبار السارة، وماذا يعني يسوع؟ بمعنى المفهوم الذي يجيب عنه باقي الانجيل على هذا السؤال. فالله اصبح قريباً بيسوع مؤكداً، وذلك الاقتراب يتطلب تغيير قلبنا وعقلنا تجاهنا وتجاه الله من خلال الاقتراب من الاخبار السارة مؤكداً.

غنينا جميعاً مؤخراً في نهاية القداس اغنية:
سمعت صوت يسوع يقول، تعال إليّ وارتاح
اضطجع، ايها المرهق، اضجع رأسك على صدري
جئت الى يسوع كما كنت، مرهقاً، وبالياً، ومتهرئاً، وحزيناً.
وجدت فيه مكان الاستراحة، وجعلني مسروراً
سمعت صوت يسوع يقول:أنظر، ها أنا اعطي الماء الحي بحرية
الماء الحي، أيها العطشان، انحن الى الاسفل واشرب وعش
جئت الى يسوع، وشربت من ذلك الجدول مانح الحياة
عطشي قد رُوي، وروحي انتعشت، والان أحيا فيه
سمعت صوت يسوع يقول: انا هو نور هذا العالم المظلم
تطلعْ اليّ، صباحك سيبزغ، وكل يومك سيكون ساطعاً
نظرت الى يسوع، فوجدت فيه نجمي، شمسي، وفي نور الحياة ذلك، سأمشي كل أيام السفر المتحققة..

حينما غنيت الاغنية، كان وقتي صعباً بسبب دموع الفرح، فادركت كم ان يسوع هو بشرى سارة لي، وان الاقتراب منه يبهجني ويغمرني بالامتنان، فافترضت ان شعبية الاغاني تعني ان الاخرين يشاركون نفس المشاعر.

في المقطع الآتي من الانجيل يرى يسوع شمعون وأخاه اندراوس، وبعد ذلك يوحنا واخاه يعقوب، ويقول لكل واحد منهم ببساطة "تعال، اتبعني ". فيتركون آلات صيد السمك ويتبعونه، حتى ولو سلَّمنا بذلك، فاننا ربما لا نعرف بالتفصيل الكامل الدعوة التاريخية الحقيقية لهؤلاء التلاميذ الاربعة الاوائل، وما زلنا نلمس الحضور الشخصي الجذاب والهائل، ماذا كان يشبه؟ ماذا يريد لي؟

لقد كان لحكايات الابطال الاسطوريين جاذبية قوية عند الناس، اذ نحب ان نقرأ (أو نرى الان في الافلام) زعماء عظماء يحشدون الناس حولهم كي يتغلبوا على الشر في الياذة Iliadهوميروس واوديسة Odyssey، ورحلة الحمام الزاجل الطويلة، وفرجيلوس اينيد Vergil s Aeneid، واساطير الملك آرثر وفرسانه، والعديد من الحكايات الاخرى التي لا زالت تجذبنا، كما ان انجذابنا الى البطل الغربي هو من نفس النوع في السنوات الاخيرة إذ تشهد على نفس التأثير ثلاثية تولكين الشعبية (سيد الحلقات The Lord of the Rings)*

يتحسب اغناطيوس في تمارينه الروحية لهذا التأثير البدائي باخذه انعكاس المتروض على أي ملك خيالي مثل الملك اراجون في (سيد الحلقات)، فيقول:"في

- جون رونالد ريويل تولكين **Tolkien John Ronald Reuel**: روائي انكليزي ولد سنة **1892**،وقد اشتهر بملحمته الثلاثية أعلاه والتي اصدرها سنة **1954-1955**م (المترجم)

الواقع ان يسوع أحسن من احلامك " فهل تحس ببعض الاثارة وترجو بعض الحماس عندما تلتقي بيسوع؟

ان المشاهد الذي يتبع دعوة التلاميذ الاوائل؛ تظهرهم كمن يشرح هوية يسوع، فهو يطرد الشيطان، ويشفي حماة بطرس، والعديد من المرضى. فاي نوع من الرجال هو هذا؟، وماذا يكشف لنا بخصوص رجائه واحلامه؟ عندما يذهب ليصلي "في الصباح الباكر وكان الظلام مخيماً "، وكيف كانت خبرة يهودي الوصية الأولى هذا؟ ربما يجب علينا ان نسأله كي يعلمنا كيف نصلي، تماماً بعد ان سأله التلاميذ،ماذا يشبه؟:

"فوافاه ابرص وهو يطلب اليه. وركع قدامه قائلاً له: إن شئت.فانت قادر ان تطهرني
فتحنن يسوع. ومد يده.ولمسه وقال له:قد شئت.فاطهر
وفيما هو يقول.للوقت ذهب البرص عنه.وطهر "
(مر 1: 40-42)

ان ترجمة واحدة لكلمات يسوع هي:"طبعاً، اريد "، فاذا كان يسوع؛ كشْف الله؛ فاننا نرى هنا تفاعل الانسان الالهي مع الم الانسان، مثل توبيخ يسوع الصارم للروح الشرير والذي يعتبر تفاعله ازاء حضور الشرير في العالم.

يرينا الفصل الثاني وبداية الفصل الثالث الافعال التي تجلب يسوع الى الصليب،انه يغفر الخطايا، ويأكل ويشرب مع جباة الضرائب والخطاة (ويوبخ اولئك الذين يستاؤون من هذا النوع من رفاق المائدة)

انه يعلن نفسه رب السبت، وأخيراً يشفي رجلاً يابس اليد في السبت وفي المجمع " خرج الفريسيون للوقت مع اصحاب هيرودس. وتآمروا عليه في أن يهلكوه "(3: 6)

ماذا يشبه؟ وكيف يبدو لك؟ وكيف تتفاعل عندما تراه "فنظر حوله اليهم بغضب حزيناً على غباوة قلوبهم.وقال للرجل:مد يدك.فمدها.فاستوت يده"(3: 5)؟

"ثم صعد الى الجبل.ودعا الذين ارادهم.فمضوا اليه
واقام اثني عشر.ليكونوا معه ولكي يرسلهم ليكرزوا
ويكون لهم سلطان على شفاء الامراض واخراج الشياطين"(3: 13-15)

ماذا يشبه حينما يختار اتباعه الاقربين؟ وما هو شعورك حينما تراقبه يختار؟

هل تريد ان تكون مختاراً؟
هل تخاف من ان يجتازك؟
هل تخاف من احتمال اختياره لك؟

لاحظ ان الاثني عشر هم مختارون كي يعملوا الاشياء التي يفعلها يسوع، يبشرون بالاخبار السارة، ويطردون الشياطين. ربما يعرفون من اعماقهم انهم سيحصلون على نفس المعاملة التي حصل عليها يسوع اذا تبعوه، فكيف يشعر يسوع بخصوص يهوذا الاسخريوطي."الذي نكره"؟. شيء واحد مؤكد:عندما نعد بعض الخيارات البسيطة لاصدقائنا او لاولئك الذين نريدهم ان يثقوا، فان يسوع يستطيع ان يفهمنا ذلك لأنه فعل الشيء نفسه.

كيف يشعر يسوع عندما تعتقد عائلته انه مجنون ويعتقد زعماء دينه الخاص ان الشياطين قد (استملكته)، فان كنا لم نسيء الفهم سابقاً ابداً، او اتهمنا باطلاً، عندها تكون لدينا بعض الفكرة عن ما كان يمكن ان يشعر به. ولكن تستطيع ايضاً ان تسأله كي يكشف عن شعوره، وكيفية علاجه لمشاعره. وبعد قليل يلقي نظرة حوله ويقول "هؤلاء هم اخي واختي وامي "، فهل تشعر انك ضمن مدى عينيه؟ وكيف تشعر؟ وكيف يشعر بخصوصك، إذ يضعك ضمن دائرته؟، ومن آخر ضمن الدائرة؟.يدرك الشخص الذي ينظر حول الدائرة المتضمنة لا فقط عدد من اصدقائه، ولكن ايضاً العديد من الاشخاص الذين لم يعرفهم، وحتى اشخاص لم يحبهم؛ ما نوع هذا الشخص الذي يضمن اشكالاً مختلفة من الناس حول عائلته؟

لنذهب الى الفصل الخامس، وحادثة شفاء الشخص الذي استولى عليه الشيطان، فبينما تقرأ المقطع، ستلاحظ همجية الرجل وقوته، وتخيل كيف يكون فزعك لو كنت قرب الشخص، ثم لاحظ كيف ان يسوع يقترب منه بدون أية حماية، إذ لا تخيفه قوة الشرير. فاي نوع من الرجال هو؟ ربما تستطيع أن تفهم

لماذا سكان المدينة:" أقبلوا الى يسوع. فابصروا ذلك المجنون الذي كان معه اللجيون جالساً لابساً وصحيح العقل. فخافوا

ثم اخبرهم الذين ابصروا. كيف كان امر المجنون والخنازير

فجعلوا يطلبون اليه ان ينصرف من تخومهم "

(مر 5: 15-17).

كيف ستتفاعل عندما يرفض يسوع اقامة الشخص المشافى معه؟.نقرأ في الفصل السادس عن قطع رأس يوحنا المعمدان. فكيف كان يشعر يسوع عندما سمع بخصوص هذا العمل المؤسف، هذا الغريب الاطوار القاسي الذي قطع رأس هذا الشخص الجيد في فترة شهرته؟.ربما نعرف ما يشبه ذلك عندما نخسر شخصاً محبوباً كبيراً جداً، وعندما تبدو الحياة متقلبة المزاج.

نلتقي في الفصل السابع بيسوع الغريب جداً، وذلك في مشهد مع امرأة أممية (مر 7: 24-30) حيث يبدو لنا يسوع قاسياً، وعديم الاحساس عندما تسأله هذه الاممية كي يطرد الشيطان من ابنتها. "لا يحسن القاء خبز البنين للكلاب ". لاشك اننا نحاول مرات عديدة تفسير هذه الكلمات، فيبدو انها تقول لنا ان يسوع كان إنساناً محدوداً، وكان عليه ان يتعلم شيئاً عن المحبة والايمان من هذه المرأة الاممية. نرى في هذا المشهد خلاصة شديدة حيث ان يسوع من أبناء العهد القديم، ويبدو ان رؤياه ورسالته محددة ببني جنسة ودينه.

هنا انسان فقط، فكل الناس محدَّدون بولاداتهم، وعوائلهم، وتراثهم، ودينهم. لكن يسوع له الحرية كي يصغي الى الجواب السريع للمرأة، وان يغير رأيه

كي يتعلم شيئاً ما. ان هذا هو طريق التأمل الوحيد في المشهد، فكيف يبدو لكم؟

في الفصول المحددة بشفاء الرجلين الأعميين (8: 22) و(10: 52) نرى يسوع مدركاً اكثر للهلاك المهدد، فلثلاث مرات يتوقع آلامه وموته، ويظهر نية الاتصال بتلاميذه لما سيحدث. هم في الواقع عمي ثلاث مرات، المرة الاولى بعد ان يتنبأ بنكران بطرس له كشيء يمكن ان يحدث، والثانية بعد ان يتجادل التلاميذ في الطريق حول من هو الاعظم، والثالثة بعد ان يأتي يعقوب ويوحنا اليه ويسألانه ان يجلسا عن يمينه ويساره في الملكوت، فيغضب العشرة، ويشعر يسوع بالحاجة الى ان يجعلهم يفهمون ما يتحدثون به؟. فهل يتمنى انهم سيفهمونه، ويرافقونه في محنته؟ وكيف يشعر كمن يرى تجمع غيوم العاصفة؟ وانت كيف تشعر نحوه؟

كي ننهي هذا الفصل، دعونا نلقي نظرة على التجلي (9: 2–8) مع الاشارة الواضحة الى معمودية يسوع في نهر الاردن (1: 9–11). عند المعمودية نقرأ:" **وللوقت عندما صعد من الماء. رأى السموات قد انشقت.والروح كالحمامة نازلاً عليه وكان صوت من السموات:انت ابني الحبيب الذي به سررت** "

كيف كان شعور يسوع حينما سمع هذه الكلمات، وهو يهودي الوصية الاولى؟. نستطيع ان نسأله كي يكشف هذا لنا. والان ليسوع في التجلي خبرة اخرى عميقة عن الله، على الاقل يستطيع احدنا ان يقرأ المشهد بهذه الطريقة

حتى اذا كان بعض المعلقين يرون المشهد كأنه ظهر بعد القيامة، وترجم الى حياة العامة.

يتوقع يسوع الالم للمرة الاولى فقط، وهو يمكن ان يحس ان الكراهية والتسمم بدآ يحيطان به، وعند نقطة الاتصال الحرجة هذه يسمع الكلمات ثانية " هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا " فكم يجب ان تكون هذه الكلمات مريحة له. وبعد كل ذلك فإن قادة دين الله خرجوا ليقتلوا يسوع، فهل كان له شكوك بخصوص الفصل الذي كان به؟. اعرف الناس الذين صرخوا بفرح عندما سمع يسوع الكلمات الدافئة، والمحبة، والاطمئنان من قبل الله في هذه الساعة المظلمة. وقد أحس ان ذكرى هذه الخبرة ساندته في بستان الجثسيمانية، فكيف يكون هذا؟ وماذا يشبه يسوع بالنسبة لك؟

الفصل الرابع عشر

ما هي قيمة يسوع؟

نرى الاصدقاء يشاركون قيم بعضهم البعض في أية صداقة حميمة، حقاً انهم يأخذون بالتحدث عن قيم بعضهم البعض، واحياناً من خلال التنافذ حتى بدون محاولة عمل ذلك، فالاصدقاء الحميمون يأتون كي يشاركوا الاذواق والقيم في الطعام، والملابس، والقراءة، والسياسة، والفن، وحتى الاصدقاء، بينما حالما نصل الى معرفة أفضل ليسوع، فاننا نبدأ ملاحظة ليس فقط ما يشبه،ولكن ما هي قيمة يسوع.

اريد ان اشير في هذا الفصل الى بعض طرق الانتباه الى قيم يسوع. في الفصل الاخير لاحظنا مع (جون شي)؛ ان يسوع كان يهودي الوصية الاولى، والله هو قيمته الاولى، ولا يوجد آخر أزاءه:

" يا معلم. أيما اعظم الوصايا في الناموس".

فقال له يسوع:تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك

هذه هي الوصية الاولى العظيمة "(متى 22: 36-38).

انه يظهر بالممارسة كيف يلتزم بهذه الوصية بصورة خاصة.

" وجاءوا الى اورشليم. فدخل الهيكل.وجعل يخرج الباعة والمبتاعين في الهيكل.وموائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام قلبها
ولم يدع احداً يدخل بمتاع الى الهيكل
وكان يعلمهم ويقول لهم:اليس مكتوباً ان بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الامم.وانتم صيرتموه مغارة للصوص "(مر 11: 15-17)

لقد كتبت الوصية الاولى في قلبه ونفسه، فيسوع يقيِّم وقته مع الهه، ولقد امضى اربعين يوماً في الصحراء قبل ان يبدأ خدمة شعبه، ويبدو انه اخذ وقتاً للصلاة وبشكل منتظم ومنذ الصباح الباكر:

" وسحراً جداً في الغداة قام وخرج.ومضى الى موضع قفر.وكان يصلي هناك "(مر 1: 35)
وبعد ان اطعم الخمسة آلاف:" وللوقت الزم تلاميذه ان يركبوا السفينة. ويسبقوه الى العبر عند بيت صيدا.الى ان يطلق هو الجماعة
فلما ودعهم. ذهب الى الجبل ليصلي "
(مر 6: 45-46)

ولقد صلى وقت التجلي، وفي بستان الجثسيماني. وفي انجيل لوقا نقرأ:

" وحدث انه إذ كان يصلي في موضع. فلما فرغ. قال له واحد من تلاميذه:يا رب.علمنا ان نصلي كما علم يوحنا ايضاً تلاميذه "(لو 11: 1)

لقد لاحظ التلاميذ يسوع يصلي فأرادوا التعلم منه، وبالحقيقة انه صلى كثيراً، وهذا دليل ان تلك الصلاة كانت ذات قيمة بالنسبة له، فلقد اراد ان يفعل شيئاً، واحب ان يعمله، ربما لحاجته لأن يعمله، وهذه الحقيقة وحدها تخبرنا شيئاً بخصوص اختبار يسوع لله، فالله لم يكن ذاك الذي يفزعه. وان استجابته للتلميذ الذي سأله كي يعلمهم ان يصلوا، يدعوهم ونحن معهم الى حياته الباطنية، فالله هو ألأبا، أبي، الأب العزيز. فيستطيع احدنا ان يقول أمي، الام العزيزة بما ان الله ليس له جنس، فالمسألة هي أن يسوع يختبر الله، الواحد والاله الواحد، خالق الكون والقدوس، الرهيب الواحد، الوالد المحب الدافيء، وعلاوة على ذلك، فان الله هو ايضاً ابونا " اذا صليتم.فقولوا: يا ابتاه. ليتقدس اسمك " وقد ظل يسوع حتى في معاناته في البستان وعلى الصليب يدعو الله أبا (هكذا تلفظ بالارامية)، وحتى في هذا الحد الاقصى ما زال واثقاً ان الله هو أبا

" وصاح يسوع بصوت عظيم.وقال:يا ابت.في يديك استودع روحي ..." (لو 23: 46)

ذلك هو قياس ثقته بالله الذي لأجله بذل وقتاً كبيراً خلال حياته. ولدينا نظرة اخرى عن كيفية اختباره لله "كأبا" بعمق في غضبه على قادة دين الله لأنهم

ليس فقط لم يفهموا الله لأجل انفسهم، ولكن حتى أعطوا للآخرين فكرة كاذبة عن من هو الله:

" انتم الان معشر الفريسيين تطهرون خارج الكأس والاناء.فاما باطنكم فانه مملوء اغتصاباً وشراً.
يا جهال.اليس الذي صنع الظاهر هو ايضاً صنع الباطن
لكن اعطوا ما عندكم صدقة.وها كل شيء اذاً يتطهر لكم

ولكن الويل لكم ايها الفريسيون. لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل البقول. وترفضون حكم الله ومحبته.وقد كان ينبغي ان تفعلوا هذه.ولا تغفلوا عن تلك ...

انتم ايضاً ايها الناموسيون الويل لكم.لأنكم تحملون الناس اوساقاً عسرة الحمل.وانتم لا تمسون الاحمال باحدى اصابعكم ...

الويل لكم ايها الناموسيون.لأنكم اخذتم مفتاح المعرفة.فما دخلتم انتم.والداخلون منعتموهم
(لو 11: 39-52)

لقد اشتعل يسوع غضباً بشكل عنيف على اولئك الذين ابعدوا الناس عن معرفة طبيعة الله الحقيقية، فقد عرض لهم من هو الله عبر اعماله، لأنه عرف الله بحميمية كبيرة، ووصل بالشفقة الى حد انه مس المصاب بداء الجذام كي يشفيه، وان يعالج الاعمى:

" وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى.وهو يعلم في مجامعهم.ويكرز ببشارة الملكوت.ويشفي كل مرض وكل سقم
فلما رأى الجموع.تحنن عليهم.لأنهم كانوا معذبين ومنطرحين كالضأن التي ليس لها راع "(متى 9: 35-36)

ومرة اخرى قال:

" أعترف لك أيها الآب رب السماء والارض.لانك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء.واظهرتها للاطفال
نعم أيها الآب.لانه هكذا صارت المسرة امامك
كل شيء قد دفع الي من ابي.ولا احد يعرف الابن الا الاب.ولا أحد يعرف الاب الا الابن ومن يريد الابن ان يكشف له

تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال.وانا اريحكم

احملوا نيري عليكم.وتعلموا مني.فاني وديع ومتواضع القلب.فتجدوا راحة لانفسكم

لان نيري طيب.وحملي خفيف "

(متى 11: 25– 30)

وقد اكل مع جامعي الضريبة، والمومسات، والمذنبين الآخرين، لماذا؟:

" لا يحتاج الاصحاء الى الطبيب. لكن المرضى. لم آت لادعو الصديقين.لكن الخطاة الى التوبة "(لو 5: 31–32)

وبكلمات اخرى، فان الله هو "أبا" أي أب، حتى للمنبوذين من المجتمع والاموميين. تزودنا الخطبة على الجبل (متى 5: 1 الى 7: 29) بمصدر بارز لتعليم يسوع.إذ يمكننا ان نمضي وقتاً طويلاً في التأمل بتأثيرات هذه الفصول، طالبين الانشغال بعقل وقلب يسوع، ونستطيع ايضاً دوام التأمل بالانجيل، راغبين معرفة يسوع لأجل محبته اكثر واتباعه بقرب اكبر. ويعني ان نتبعه بقرب اكبر؛ ان نعيش قيمه، وان نكون شخص الوصية الاولى، ولكن ايضاً ان نعيش الوصية العظمى الثانية:

" والثانية التي تشبهها: تحب قريبك كمثل نفسك "

(متى 22: 39).

لذلك فان المعنى الكامل لهذه الوصية،ووصية يسوع الاخرى بناءً عليها في الاهمية تجاه الله جاءت الينا في مشهد الدينونة الاخيرة لمتى (25: 31–46)، وتدعونا الى الرجوع الى المثل العظيم في نهاية هذا الفصل:

"واذا جاء ابن الانسان في مجده. وجميع الملائكة معه.
فحينئذ يجلس على كرسي مجده
ويجتمع امامه كل الامم.فيميز بعضهم من بعض.كما يميز الراعي الخراف من الجداء
ويقيم الخراف عن يمينه.والجداء عن يساره.
حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه:تعالوا يا مباركي ابي.رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم
لأني جعت فاطعمتموني.وعطشت فسقيتموني.وغريباً كنت فآويتموني.
وعرياناً فكسوتموني.ومريضاً فافتقدتموني.ومحبوساً فاتيتم اليّ

حينئذ يجيبه الصديقون قائلين:يا رب متى رأيناك جائعاً فاطعمناك.أو عطشان فسقيناك
ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً.فاتينا اليك
فيجيب الملك ويقول لهم:الحق اقول لكم.بما انكم فعلتم باحد اخوتي هؤلاء الصغار.فبي فعلتم

فمع من تعرف هوية يسوع؟ مع الجوعان، أم العطشان، ام الغريب، أم مع العاري، أم مع السجين، أم مع الاصغر بين أخوته واخواته؟. اذا احببنا هؤلاء الاخوة والاخوات بفعالية تحاول تهدئة أعبائهم، فإننا نحب يسوع. واذا لم نحاول ان نخفف اعباءهم، فان يسوع سيقول اننا لا نحبه. وهذا هو حقاً قول صعب خصوصاً في عالم ندرك كثيراً ما فيه من آلام الملايين من أخوة واخوات يسوع من خلال وسائل الاعلام الجماهيرية.فإذا جئنا في النهاية الى القول الصعب؛ ربما يجب ان نتمنى ان لم يسبق أن سؤلنا معرفة قيم يسوع لأن المهمة مستحيلة جداً، فنحن ربما نشعر باننا سنوضع مع المعز (أو الجداء)،فكيف سنتصرف؟

اولاً نحتاج الى ان نسأل كي ندرك قيم يسوع لأجل محبته، واتباعه بقرب اكبر، فنحن لا نستطيع تغيير قلوبنا بواسطة قوة ارادتنا الخاصة، فاذا يعلن يسوع لنا ما هي قيمه، فانه سيهب لنا الرغبة في ان نقاسمه قيمه، وبكلمات اخرى؛ الرغبة بان نعطى قلباً شبيهاً بقلبه

في سيرته الذاتية (الرحلة المقدسة The Sacred Journey) يعيد فريدريك بويتشنير Frederick Buechnerالقاء الضوء على حيرتنا. لقد وقع عقداً لروايته الاولى في مكاتب الفريد نوبف Alfred Knopf، وبينما هو خارج من المكتب، مرّ بزميل دراسة في كلية سابقة كان يعمل كمراسل. فيقول بوتشنير: كنت كما اعتقدت على حافة الشهرة والثروة، ولكن بدلاً من الشعور باي كبرياء أو احساس بالانجاز الذي يصاحبه التفوق بسبب المقارنة مع الاخرين، اتذكر تسرعي الكبير والمجهول السبب من شيء ما كالحزن، وعلى الاغلب شعور أشبه بالخزي." انه يعكس خطة حظه وحاجة زميل الدراسة الى الحظ. فلقد افترقوا بدون ان يتحدث واحد الى الاخر عن أي شيء. ثم يفكر بويتشنير ويقول:"كل ما استطيع قوله الان هو شيء صغير، لكن حدث في داخلي ما لا ينسى كنتيجة

للاجتماع العابر – ذلك بعض الوميض البسيط الخارج من الحقيقة في المدى البعيد، حيث لا يوجد فرح حقيقي لأي شخص حتى يكون لنا جميعاً فرح في الاخير –ويمكن ان لا يكون اعتماد له ... فما شعرت به كان شيئاً افضل واكثر حقيقية مما كنت أو مما اكون، وقد حدث، وربما ان كل الاشياء تعمل كعطية "(ص **97**).

ان ما نستطيع عمله هو التأمل بحياة يسوع وقيمه مع الرجاء والثقة كبوتشنير، وسنكون حاصلين على عطية العطف، لذلك سنتعاطف مع كل اخوتنا واخواتنا السيّئي والسيئات الحظ، ولن نلفت نظرنا بعيداً عن ورطتهم، فالشفقة هي بداية عمل شيء ما.

ثانيـاً، يمكن ان نأخذ صورة من الداخل، أي من حقيقة ان الرسل عاشوا –وجنة وخد – مع يسوع لمدة ثلاث سنوات، ولم يعرفوا حقاً قيمه.فعندما لم يستقبل السامريون يسوع في مدينتهم، سأل يعقوب ويوحنا الرب:

" أتريد ان نقول.فتنزل نار من السماء فتفنيهم

فالتفت ونهرهما قائلاً:لستما تعرفان من أي روح انتما "(لو 9: 54–55). فبما ان طرح السؤال عليه يعتبر نعمة، فاننا بحاجة الى ان نكون صبورين مع انفسنا ما دمنا ننتظر النعمة. وفي نفس الوقت، نحاول ان لا ندير نظرتنا بعيداً عن الجوع والعطش والتشرد والمرض في اوساطنا وما يظهر على شاشات تلفازنا.

نصلي كي نتمكن من النظر الى عالمنا كما هو حقاً بعيون يسوع العطوفة، وان يكون عندنا القلب والنباهة كي نعمل قليلاً لأجل تخفيف الاحمال، ونصحح الاخطاء،ونريح المتعبين، وان نستمر في تأمل يسوع،ونطلب المشاركة في قيمه، فنحن يمكن ان نكون متأكدين ان نعمته لن تغيب عنا

الفصل الخامس عشر

الخاتمة

يمكن ان نستنتج من مناقشتنا لتطوير الالفة مع الله ومع يسوع من خلال التركيز على السؤال الذي يلّح علينا عندما نصبح اصدقاء احد ما. هل صديقي يقّدر حضوري وصداقتي؟ انا اعلم، كم أكون مسروراً، عندما أعرف واحب يسوع، ولكن كيف يشعر هو نحوي؟ هل نعطي يسوع فرصة ليقول لنا ماذا تعني صداقتنا بالنسبة له؟ لقد ادركت من خلال ارشادي الروحي الخاص اني كنت اقاوم بغربة إعطاءَه تلك الفرصة. والآخرون ربما يلاحظون نفس المقاومة الدفاعية في انفسهم، فدعونا نعكس قليلاً هذه الظاهرة.

ربما ان هذه المقاومة تنزع من الخوف ان يسوع سعيد لأننا سعداء، ولكن كل واحد منا هو واحد من حشده، وبعض الناس تفعل، وأنا اؤمن، وانظر الى يسوع كمحسن عظيم يعبر العطايا والحسنات، لكن لا الحاجات ولا هو يتأثر كثيراً بصداقتهم.

بدأت احس عند مراجعة الحياة مؤخراً؛ ان يسوع كان شاكراً لي لصداقتي، وفكرت فوراً بكلماته في انجيل لوقا:"كذلك انتم. اذا فعلتم كل شيء أمرتم به.فقولوا:نحن عبيد بطالون.لأننا انما عملنا ما كان يجب علينا "(لو **17**: **10**)،ولكن عندما شعرت ان يسوع قال شيئاً مثل هذا: يمكن لك اذا اردت ان تفكر بنفسك كخادم لا يستحق، ان تعمل ولكن ألا اكون ناكر الجميل اذا لم اكن ممتناً للناس الذين صادقوني، وعملوا معي، وعانوا معي؟، وعندها ادركت ان يسوع

انسان حقاً، وان كونه انسان هو كي تكون سعيداً وشاكراً عندما تكون محبوباً، ومع ذلك فالصداقة هي متبادلة.

ربما نقاوم منح يسوع فرصة كي يخبرنا كم هو يقّدر صداقتنا كثيراً لأننا نهرب من ذلك النوع من الالفة. ونريد ان نكون محبوبين وان يُهتمّ بنا ومشاركين، ولكنَّ شيئاً فينا يخجل من الاعلان المفتوح للحب من قبل صديق ما. وعلى الاقل استطيع ان اقول هذا عن نفسي. فان جزءاً مني يقاوم منح يسوع فرصة كي يخبرني كيف يشعر تجاهي.وينشأ هذا من بعض الدينامية التي تعمل في عدة أشياء ذات صلة بالآخر.

انا بالاحرى على وشك وصف "توTWO" وهو واحد من تسعة انواع من الشخصيات المتميزة، والناس من امثال (تو TWO) هذا تجنبوا إقرارهم ان لهم *حاجات* ...انهم يفتخرون بانفسهم لكونهم *مساعدين*، وقريبين الى أي شخص. وبالنظر الى انفسهم فانهم لا يعترفون بحاجتهم الى الاخرين لأي مساعدة "(رحلة اكتشاف الذات – Maria Beesing,Robert J.Nogosek,& Patrick H.O Leary,The Enneagram:A Journey of Self Discovery,p.11)

طبعاً ان الناس حملة هذا النوع من الشخصية، بحاجة الى تقدير وحب. وهم فقط لديهم اعتراف بالمشكلة، حتى بالنسبة لأنفسهم، ويسألون ما يحتاجون، فلقد تطلب مني وقت طويل كي اقول فوراً ليسوع:"أخبرني ما هو شعورك نحوي " ثم بعدئذ أنتظر جواباً.

اذا اردنا صداقة مع يسوع، وهو يريد صداقتنا، فعند ذاك نحن بحاجة الى اعطائه فرصة ليعبر عن اعتنائه واهتمامه بنا، كما هو يمنحنا فرصة كي نخبره كم نحن بحاجة الى تقديره. وعندما يُعطيه الناس تلك الفرصة، يبدو انه يتذوقها.

ان احجامنا عن اعطائه الفرصة ربما يكون مسعى الخندق الاخير لأزدواجيتنا نحو الالفة مع الله لأجل ان يفرض نفسه، وعندما نصبح مدركين هذه

المقاومة، نستطيع مساءلة الرب لأجل النعمة كي نكون احراراً تماماً كي نتنازل عن حاجتنا الى الخوف لأجل الحفاظ على انفسنا ونقدم دليلاً لأنفسنا بغنى محبته، فبعض الحرية ستفتح الباب لألفة اعمق لا نستطيع تخيلها أبداً.

Seek My Face

Prayer as Personal Relationship In Scripture

By William A.Barry,S.J.

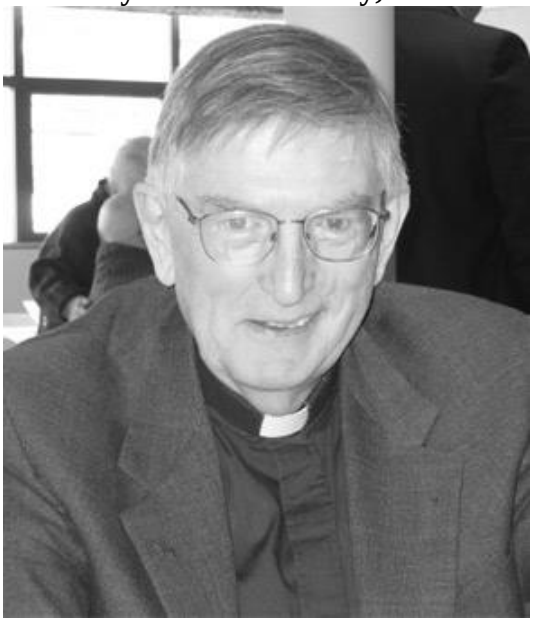

وليم بيري

كاهن يسوعي يعمل عميداً لكلية الآباء اليسوعيين في ولاية بوسطن الامريكية، وقد كتب العديد من الكتب والمقالات بخصوص الارشاد الروحي.

T. Fr. Habib H. AL-NOWFALI
St. George Chaldean Church
Baghdad-Iraq
2001